المبحث الثالث

منهج الإمام أحمد بن يحيى في نقد فكر المجبرة حول إبليس

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصــــل الأول : أصل قصة حي بن يقظان .

الفصل الثانــي : أساسيات المنهج عند المسلمين .

الفصل الثالــث : التكليـف .

الفصل الرابــع : عقيدة المجبرة في إبليس .

الفصل الخامس : إبطال مزاعم المجبرة في إبليس .

الفصل السادس: حـول الرسـالة :-

١- ترجمة المؤلف ومصنفاته .
٢- وصف المخطوط .
٣- منهجي في التحقيق
٤- نماذج من المخطوط .

الفصل الأول

أصل قصة «حي بن يقظان»

كنت اعتقد قبل أن يقع هذا النص بين يدى ان قصة «حى بن يقظان»[1] . هى إبداع خالص لابن سينا ٤٢٨هـ ، ونموذج رائع للقصص السلفى المبكر فى تاريخنا الإسلامى ؛ ثم جاء من بعده من فلاسفة الإسلام كابن طفيل ت ٥٨١ هـ ، والسهروردى المقتول ٥٨٧ هـ صاحب كتاب «حكمة الإشراق» ، وكذلك ابن النفيس ت ٦٨٧ هـ ؛ فأخذوا هذه الفكرة عنه وكتبوها كما تراءت لهم !

هذا هوالاعتقاد السائد ، إلا أنه ينبغى له أن يتغير بعدما وجدنا الإمام أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ قد سبقهم إليها ، فقد توفى قبل ابن سينا بمائة عام تقريباً ، مما يجعلنا نقطع بأن ابن سينا قد أخذ فكرة هذه القصة الفلسفية من الإمام أحمد ؛ وهو غير مستبعد ، فقد كان جل فكر ابن سينا فلسفى ، وأساسه فى الفلسفة وقد سبقه إلى سبر أغوارها الفارابى والكندى . فقد عرفا الفلسفة اليونانية وترجم منها الكثير، ولهما شروح على آرسطو وافلاطون .. وإن كان تأثر الكند بآرسطو اوسع ، وقد نشر له د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة مجموعاً من رسائله ، سماه «رسائل الكندى الفلسفية» بالقاهرة سنة ١٩٥٠م.. أما الفارابى فقد تأثر بافلاطون تأثراً كبيراً ، وبفكره السياسى على وجه أخص .

إن الفكرة الأساسية التى تدور حولها قصة «حى بن يقظان» هى هل من الممكن ان يحصل الإنسان المعرفة بدون وجود وحى من السماء أو سابق معرفة له بالطبيعة أوما ورائها ؟.. وهو ما نسمية بالخبرة المتوارثة هل لهذا الإنسان ان ينشئ معرفة من نفسه، تدله عليها فطرته مستخدماً مداركه الحسية والعقلية ام لا ؟.

والظاهر من كلام الجميع إمكانية ذلك ؛ غير ان الإمام أحمد زاد عليها أن هذه المعرفة تحدث صحيحة بتأييد الله ، عز وجل ، وتوفيقه ودون تدخل لمعوقات طبيعة أو غير طبيعة لإفسادها أو تعطيلها . وقد عالج الغربيون هذه الفكرة فيما بعد إبان عصر النهضة فى أدبهم ، وفى سنة ١٧٩٥ تقريباً وجد عالماً فرنسياً غلاماً فى الغابات أخذه إلى باريس وحاول تعليمه الكلام ، والاستفادة من تجربته فى حياة الطبيعة مع الحيوانات .

---

(١) انظر حى بن يقظان : تحقيق د/ يوسف زيدان – هيئة قصور الثقافة .

ويبقى الإشارة إلى أن القصة على يد ابن سينا قد اتخذت طابعاً فلسفياً خالصاً واكتنفها كثير من الغموض والرمز والتركيب ، فى حين أنها عند الإمام أحمد كانت بسيطة ، ومع ذلك لم تكن ساذجة ؛ وتشير إلى عنصر فكرى واحد وهو إمكانية المعرفة دون وحي أو سابق خبرة ؛ مع التركيز على حرية الإنسان فى المعرفة .

ويبدو لى أن هذه القصة ذات جذور أبعد من ذلك ، فربما كانت من القصص العالمى الذى يصعب نسبته إلى بلد معين أو شعب ، أو أنها نشأت فى الوسط الإسلامى على يد القصاص والمحدثين لتقريب فكرة المعرفة المطلقة بالعالم والكون والألهية للناس.

وهذه القصة عند الإمام أحمد يُردُّ بها على تعنُّتِ المجبرة فى أن الله قد أعطى الإنسان الحرية فى الاختيار والقدرة والاستطاعة على الإيمان ، ويسر له طريق التكليف ثم أقدر عليه عدوه إبليس لينال منه ويتلاعب به ، ويتدخل بقدرته فيفسد طاعته لربه وإيمانه به وتوحيده له !.. ويبدو أنهم كانوا يرغبون فى الوصول إلى القول بأن الحياة وما فيها معادلة متعادلة الأطراف ليس فيها رابح أو خاصر .. وهى تبدأ وتنتهى كلعبة لها أصول ولكل واحد فيها دور.. وقد وضع مصممها كل شئ مسبقاً ، وما الناس والمخلوقات إلا دمى أو قطع خشبية على رقعة الشطرنج ، وسينتهى الأمر إلى أن الجميع لا شأن لهم بماكان يحدث ، إذ إنهم فعلوا ما قضى وقدر الصانع ، ولم يكن فى وسعهم أن يفعلوا غيرما فعلوا ، وسبق وأن رسمه لهم!

فزعموا بأن لإبليس قدرة على التصرف فى قلب الإنسان مما يؤثر على عقله وفعله ، دون أن يكون للإنسان قدرة على دفع هذا البلاء عن نفسه ، لقدرة إبليس الفائقة ، فهو قادر على أن ينسيه وقادر على أن يغويه وقادر على أن يرديه .. إلخ .

فقال الإمام أحمد إذا كان هذا جاء عندكم فى حق إبليس ، فما الفرق بينه إذاً وبين رب العالمين ؟! وهل يستطيع فعل ذلك : (فى رجل وامرأته كانا فى المركب ثم باق بهم المركب فخرجا إلى جزيرة ، فكان الرجل من مرته [1] ، فحملت غلاماً ، ثم بلغ الغلام ثلاث سنين ؛ ثم ماتا وتركاه ، أيصل إلى قلبه الأمر بالصلاة والصيام وجميع

---

(١) كناية عن الجماع .

(٢) انظر النص ؛ ١٣٤ ظ .

الفرائض بلا مخبر له ولا مصّير؟!) . وللمسالة جذور فى الفكر الإسلامى ، ملخصه أننا مكلفون بمعرفة الله ، تعالى ، قبل مجئ الشرع .

والإمام أحمد يتجاوز الحديث عن معرفته بالطبيعة من حوله وصولاً إلى اليقين، وأن وراء هذا الكون خالق رازق مبدع له أبدعه ، ينبغى عبادته وطاعته وقبول تكليفه.. وعند إذ يتوقف ليتسائل ، هل يمكن أن تحدث له هذه المعرفة التكليفية بالصيام والصلاة وغيرها من الفرائض والأحكام دون إرسال رسول له يخبره بأن الله الواحد الأحد يأمره بها ؟! وهو رأى له اعتباره عند فريق من الإسلاميين .

وطبيعيٌ الإقرار بالمعرفة الأولى ، وإنكار الثانية ، فإن كانت الفطرة قد دلت الإنسان على معرفة الله وتوحيده ؛ فمن أين لها معرفة مراد الله فى خلقه ؛ فالأوامر الشرعية لابد لها من تبليغ ووحى ، وهذا يجرنا إلى القطع بأن الإمام أحمد يرى أن المعرفة بالله ضرورية : وفطرية لا تحتاج إلى نظر أو استدلال ، أو على الأقل لا تحتاج هى الأخرى إلى وحى وتبليغ ، وقد قال بمقالته الجاحظ وفريق من المعتزلة ؛ غير أن جمهور العلماء يقول بأن هذه المعرفة هى الأخرى تحتاج إلى الوحى والتبليغ وإلى النظر والاستدلال العقلى المصاحب له .

ويريد الله أن يبطل حجة الناس فى أنه أخذهم أو عذبهم دون إرسال رسل إليهم بالوحى الذى يكلفهم بتوحيده وعبادته قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ (١) . فقد أرسل موسى ، عليه السلام ، لهذا الغرض .. وكذلك رسولنا ، ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ (٨) ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ

---

(١) سورة القصص الآيتان ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) سورة الزخرف الآيات ٦ - ٨ .

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [1] . وهذا هو شأن من كفل الله له حرية الاختيار بعد أن منحه مسئولية التكليف .

أما فى حق رسول الله ﷺ ، قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [2] ، وقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [3] . ويقف الرسول عند حدود الدعوة ولا يكره أحداً على الإيمان به .

وقد أرسل الله أنبياءه ورسله ليقطع على المكذبين طريق الاحتجاج بأنه لم ينذرهم ويحذرهم قبل نزول العذاب أوأن يلحقهم العقاب : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [4] وقال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [5] . فإرسال الرسل سبيل لانقطاع حجة المكذبين .

لقد خلق الله إبليس لطاعته وافترض عليه طاعته ، ولا يعقل أن يكون إبليس فى إضلاله وإغوائه للخلق مطيعاً لله !.. وعلى هذا فإن إبليس فى إضلاله للغلام فى الجزيرة قد عصى ربه واتبع هواه وخالف خالقه ووجب عذابه بمعصيته . إن افترضنا قيامه بذلك ، كما يظن المجبرة أنه دوره الذى خلقه الله له .

ثم كيف يضل إبليس ذلك الغلام فى الجزيرة ويغويه وكذلك ذرية آدم ، هل لإبليس قدرات خارقة يستطيع بها ذلك ؟!.. أم أن الأمر مجرد وهم فى عقولهم ، دعت إليه النظرة الجبرية والقصور العقلى لديهم ؛ فى أن الله خلق الإنسان وسلط عليه بعض خلقه لقهره وإضلاله وهى مجرد تمثيلية افتعلها لتعذيب الإنسان !

ويعمد هؤلاء إلى المخالفة والمجادلة بالباطل ، حول مفهوم العدل والحكمة والظلم بين الله ، تعالى ، وخلقه .. فيزعمون أن مفهومهما يختلف فى عالم الشهادة عنه فى عالم الغيب .. وماكان فى حق مكتسبه ظلماً ، فليس بالضرورة أن يكون كذلك فى حق خالقه!!..

---

(١) سورة الحديد آية ٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٣) سورة الفتح آية ٨ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٤ .

(٥) سورة النساء آية ١٦٥ .

فهلا قال لهم الله ، عز وجل ، إن العدل الذى أمرت به أو أن الظلم الذى نهيت عنه يختلف مفهومه بالنسبة لذاتى ، عن الذى بينته لكم وفرضته عليكم ؟!

اسمع هذه الآيات ثم أطلق لنفسك عنان التأمل ، لعلك تهتدى لما لم يهتد إليه الظالمون المفترون :

قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [1] .

فالله صادق .. والله عادل .. وما كان له ان يكذب علينا ، فيامرنا وهو لايريد ان نفعل ماأمر.. أو ينهانا وهو يريد أن نفعل مانهى ، والعياذ بالله .. تقدس ربنا عما يقول الظالمون .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [2] فهل هذا شان من يجوز فى حقه ان يظلم خلقه ؟!

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [3] . والله هو العدل ، وهو صفة كمال ، فكيف ننسب له ما هو قدح فى ذاته ، ويكون عيباً لو اتصف به أحد من خلقه ؟!.

* * *

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(٢) سورة النساء آية ٥٨ .

(٣) سورة النحل آية ٩٠ .

الفصل الثاني

أساسيات المنهج عند المسلمين

١ - مصادر المنهج الإسلامى

١ - ينبغى الرجوع إلى الكتاب والسنة :

قال تعالى :﴿ الر كتابٌ أنزلناهُ إليكَ لتُخرجَ النَّاسَ منَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ ﴾ [١] وقال ﴿ كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُباركٌ ليَدَّبَّروا آياته ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أطيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ فإن تولَّوْا فإنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الكافرينَ (٣٢) ﴾ [٣] وقال :﴿ وأطيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لعلكم ترحمون ﴾[٤] .

فما أصول التشريع التى يعتمد عليها المنهج الإسلامى؟.. لاتأخذ الأحكام الشرعية إلا من الكتاب والسنة والإجماع والقياس عند بعض الفرق .

١ - **والكتاب الكريم** : هوالقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه قال تعالى : ﴿ حم (١) والكتابِ المُبينِ (٢) إنَّا جعلناهُ قُرآنًا عربيًّا ﴾ [٥] ، ﴿ هذا كتابٌ مُصدِّقٌ لسانًا عربيًّا ﴾ [٦] ، ﴿ تلكَ آياتُ القُرآنِ وكتابٍ مُبينٍ (١) ﴾ [٧] .

ويشتمل على العام والخاص ، والمجمل والمفسر ، والمطلق والصريح والكناية .

وفيه أيضا دليل الخطاب ومفهومه ، وكل هذه الوجوه منه أدلة على مراتبها ، وإن كان بعضها فى الاستدلال به على مدلوله أجلى من بعض ، وما غمض منه وجه دلالته ، على الضعيف فى نظره ، يعلمه المستنبط الموفق ، لقوله تعالى : ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [٨] .

أما تأويل قوله تعالى : ﴿ وما يَعلَمُ تأويلَهُ إلاَّ اللَّهُ والرَّاسخونَ في العِلمِ يقولُونَ آمنَّا بهِ ﴾[٩] .

فقال فريق من العلماء : يعنى ليس يعلم تأويل المتشابه إلا الله ، ولم يُطلع أحداً من خلقه عليه . وهؤلاء وقفوا فى قراءة الآية على لفظ الجلالة .. وأعربوا « الواو » فى « والراسخون » على الاستئناف .

---

(١) سورة إبراهيم : ١ ..
(٢) سورة ص آية ٢٩ .
(٣) سورة آل عمران ٣٢ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٢ .
(٥) سورة الزخرف الآيات ١ ، ٣ .
(٦) سورة الأحقاف آية ١٢ .
(٧) سورة النمل آية ١ .
(٨) سورة النساء آية ٨٤ .
(٩) سورة آل عمران آية ٧ .

وقال فريق آخر : إن المعنى فى الآية أنه قد يعلمه الراسخون فى العلم ، وإن هذا القول عطف ، اى أن « الواو » فى « والراسخون » للعطف ، فهى معطوفة على لفظ الجلالة ، واحتجوا بقول الشاعر :

الريـــح تبكـى شجـوه .. والبرقُ يلمـــع فـى غمامه

قالوا : فالبرق معطوف على الريح [1] .

أشار الأشعرى إلى موقف الناس من المحكم والمتشابه ، فقال : اختلفت المعتزلة فى محكم القرآن ومتشابهه :

١- **فقال «واصل بن عطاء» و «عمرو بن عبيد» : المحكمات ما أعلم الله، سبحانه** من عقابه للفساق ، كقوله : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا** ﴾ [2] وما أشبه ذلك من أى الوعيد ، وقوله : ﴿ **وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ [3] نقول : أخفى الله عن العباد عقابه عليها ، ولم يبين أنه يعذب عليها ، كما بين فى المحكم منه .

قال «**أبو بكر الأصم**» : محكمات : يعنى حججاً واضحة لا حاجة لمن يتعمد إلى طلب معانيها كنحو ما أخبر الله ، سبحانه ، عن الأمم التى مضت ممن عاقبها ، وما يثبت عقابها ، وكنحو ما أخبر عن مشركى العرب أنه خلقهم من النطفة ، وأنه أخرج لهم من الماء فاكهة وأبا ، وما أشبه ذلك ؛ فهذا محكم كله ؛ فقال : قال الله سبحانه : ﴿ **آيات محكمات هنَّ أم الكتاب** ﴾ أى الأصل الذى لو فكرتم فيه ، عرفتم أن كل شئ جاءكم به محمد ، ﷺ ؛ حق من عند الله ، سبحانه ﴿ **وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ [3] .

وهو كنحو ما أنزل الله من أنه يبعث الأموات .

٢- **أما السنة** : التى يؤخذ عنها أحكام الشريعة فهى المنقولة عن النبى ، ﷺ ، إما **بتواتر يوجب العلم الضرورى كنقل** أعداد الركعات وأركان الصلاة ونحوها ، **وإما بخبر مستفيض يوقع العلم** المكتسب كنقلهم نصب الزكاة وأركان الحج ، **وإما برواية الآحاد التى توجب** روايتهم لها العمل دون العلم .

---

(١) الأشعرى : المقالات ؛ ١ / ٢٧٠ ؛ ٢٧١ .

(٢) سورة النساء آية ٩٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ٧ .

ووجوه دلائل السنة على الأحكام كوجوه دلائل القرآن من عام وخاص ومجمل ومفسر وصريح وكناية وناسخ ومنسوخ ودليل خطاب ومفهومه وأمر ونهى وخبر ونحوها .

٣- **وأما الإجماع** : المعتبر فى الحكم الشرعى فمقصورعلى إجماع أهل عصر من أعصار هذه الأمة على حكم شرعى ، فإنها لاتجتمع على ضلالة .

٤- **وأما القياس** : فى الشرعيات فإنما يستدرك به معرفة حكم الشئ الذى ليس فيه نص ولا إجماع على حكمه .

١- **احدها القياس الجلى** : وهو الذى يكون فرعه أولى بحكمه من أصله كتحريم ضرب الأبوين ، لقياسه على ما حرم ، عز وجل من قول الولد لهما : اف ، قال تعالى : ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...** ﴾ [١] .

٢- **والثانى قياس فى معرفة الأصل** المقيس عليه من كل وجه كقياس العبد على الأمة فى تنصيف الحد لتساويهما فى الرق ، وقياس الأمة على العبد فى التقوم على أحد الشريكين ، إذا أعتق نصيبه منه وهو موسر ، وكماحرم الله، عز وجل ، البيع فى وقت النداء للجمعة ثم قسنا عليه عقد الإجارة ، وسائر العقوذ فى ذلك الوقت ، وليس الأصل فى هذه الأحكام باكثرهما شبهًا .

٣- **والثالث : قياس شبه** فى فرع بين أصلين متعلق باكثرهما شبها ، **وقياس خفى** كالعلة فى فروع الربا ، إذا قيس فيه الفروع منها على الحنطة والشعير والتمر والملح والذهب والورق ، وهذه وجوه مدارك أحكام الشريعة على أصول أهل السنة .

وقد خالف أهل السنة فى هذه الأصول **البراهمة** فأنكروا جميع الشرائع جملة وتفصيلاً ، وأنكروا بعثة الأنبياء والكتب السماوية ؛ أما **الخوارج** فقد أنكروا الإجماع وحجيته بعلل ليس هنامكان عرضها ، وكذلك أنكروا السنن الشرعية ، أما **الروافض**

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ – ٢٤ .

الغالية فقد أنكرت جميع أحكام الشريعة وأبطلتها ، بفكرة الوصاية والدور [1] الذى يدعونه ولذلك أكفرتهم جميع طوائف المسلمين ، بما فيهم الشيعة أنفسهم ؛ وشارك **النظام** وأصحابه من المعتزلة الخوارج فى إنكار الإجماع والقياس [2] .

وقد شخص الإمام أحمد أسباب خطأ الإنسان فى فهم الدين فقال : «إن الخلق تركوا معدن الهدى ، واتبعوا الهوى ، فخالفهم الردى .. ومالوا إلى الدنيا وتقليد الرؤساء» . كما أنهم تركوا الحكم بالكتاب والسنة والاجتهاد فى النص بما يوافق مقاصد الشريعة ، وتجاهلوا أهل العلم الراسخين فيه وعلى رأسهم أهل البيت المطهرين فوقعوا فى الجهل والمراء [3] . قال ، ﷺ : **«من كتم علماً وهو يعلمه ألجمه الله بلجام من نار»** [4] .

وقد حكم الناس الظن فى فهم الدين كما حكموا الهوى والتقليد من قبل رغم أن الظن لا يغنى من الحق شيئًا ، وقد أفاض القرآن فى التحذير من الظن والهوى وتقليد الآباء والكبراء ، فهى التى أردت القدماء فعبدو الأصنام وأشركوا بالرحمن وقتلوا أبناءهم وبناتهم واستباحوا حرماتهم قال تعالى : **﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنْ هُمْ إلاَّ يخرُصُونَ (١١٦) ﴾** [5] .

﴿ بَلِ اتَّبعَ الَّذين ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [6] .

﴿ وَلَو اتَّبعَ الْحقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فيهن ﴾ [7] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [8] .

وقد عقد الإمام **يحيى بن حمزة العلوى** ت ٧٤٩ هـ فصلاً فى الاجتهاد والتقليد من

---

(١) انظر كتابنا الرد على الروافض .. فقد أشرناإلى ذلك .. وجاء مخطوط القاسم الرسى ليؤكد كفر قائل هذاالكلام ؛ ٨٩، ١٠١ .

(٢) انظر فى هذا الموضوع البغدادى : أصول الدين ، ص ١٣ – ١٩ .

(٣) انظر النص ؛ ٢٥١ و .

(٤) رواه ابن ماجة ١ / ٩٧ ، واحمد فى مسنده ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٨ ، وفى طبقات ابن سعد عن ابن مسعود ، وهو ضعيف، الجامع الصغير ، ٢ / ١٨٠ وفى معناه أيضا :«من سئل..» فى الترمذى وابى داود .

(٥) سورة الأنعام : ١١٦ .

(٦) سورة الروم آية ٢٩ .

(٧) سورة المؤمنون آية ٧١ .

(٨) سورة البقرة آية ١٧٠ .

كتابه «الرائق فى تنزيه الخالق» [١] ، بين فيه مفهوم الاجتهاد والتقليد وأحكامهما فى الإسلام ، ووضح الفرق بين المجتهد الكامل والناقص ، وما يجوز فيه الاجتهاد وما لا يجوز ، وكذلك ما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز .. ومتى يكون محموداً ومتى يكون مذموماً .

ويرسم الإمام أحمد منهجاً فى فهم قضايا الدين عموماً ، وهذه القضية التى نحن بصددها ، وهى قدرة إبليس على الوسوسة وإغواء بنى آدم وهم لا حول ولا قوة لهم فى رد ولا صد ذلك البلاء عنهم ؛ لقدرة عدوهم القادرة وقوته الفائقة على التحايل عليهم والدخول عليهم من كل باب وسبيل ؛ فيقول ينبغى عند فهم هذه القضية وكل قضايا الدين طرح الهوى جانباً والمكابرة ومعاندة المعقول ، فكل ما لا يقبله عقل ولاشرع ويقدح فى أصول التوحيد والعدل ينبغى طرحه جانباً قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾ [٢] .

ويشير الإمام أحمد إلى أن القرآن الكريم لا يتناقض ولا يختلف أحكامه فمثلاً لا يقرر الله قاعدة التيسر فى التكليف ، ثم يكلفنا بما يشق علينا قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [٣] ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [٤] ، وقال ، ﷺ : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» .

وقال تعالى عن التكليف ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٥] . ومن أشد أنواع التعسير والتعنت أن يكلفنا الله بما لا نفهمه ولا نعقله ولا يصح فى مداركنا ومعارفنا، والوسوسة ، - التى يزعمها المجبرة لإبليس - من هذا القبيل [٦] .

ولذلك يقول الإمام أحمد المرة بعد الأخرى : القرآن لا يتناقض ولا يختلف ، وأن لكل معنى من هذا الجنس - أى ادعاء إغواء إبليس وتسلطه على الإنسان - تأويل

---

(١) انظر دراستنا «عقيدة التنزيه عند المسلمين» وتحقيق النص من ١٢٣ - ٢١٩ .

(٢) سورة ص آية ٢٦ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٤) سورة الحج آية ٧٨

(٥) سورة البقرة آيه ٢٨٦

(٦) انظر النص ١٣/٠ و

يرده إلى الحق والعدل والحكمة والبراءة من التناقض والعيب والفساد »[1] . فدعا الى وجوب النظر والتأويل وتنزيه القرآن عن التناقض .

٢- موقف العلماء من تعارض النصوص

وهذا يجعلنا نبيّن موقف علماء الإسلام من تعارض النصوص ، فقد اختلفوا فى ذلك .. فإذا كان لكل من الآيتين حكم مخالف لحكم الأخرى ، مما قد يجوز أن يجتمع حكمهما ، على اختلافهما ، على إنسان فى وقتين ، ويتنافيان فى وقت واحد .

كقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾[2] فحكم الله سبحانه ، قبل المواريث أن يوصى الرجل عند موته بماله لوالديه وأقربائه ، ثم حكم للوالدين بالميراث فى فرضه المواريث ، ثم قال : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[3] !

(١) فقال قوم : نسخت آية المواريث للوالدين آية الوصية لهما ، وهم الذين قالوا : « لا ينسخ القرآن إلا القرآن » .

(٢) وقال مخالفوهم : ليست آية المواريث للوالدين بناسخة لآية الوصية لهما ، وإنما نسخت آية الوصية لهما سنة رسول الله ، ﷺ ، وهى قوله : « لا وصية لوارث »[4] ، ولولا سنته بذلك كانت الوصية للوالدين على حالها جائزة ؛ لأن الله ، سبحانه ، إنما حكم بالمواريث لأهلها من الوالدين وغيرهما من بعد وصية يوصى بها الرجل أو دين .

ولولا سنة رسول الله ، ﷺ ، أنه « لا وصية لوارث » كان للرجل إذا احتضر أن يوصى بماله لوالديه ؛ لأن الله ذكر ميراثهما ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾ ، فإن لم يوصِ لهما كان لهما الميراث بآية الموارثة .

---

(١) انظر النص ، ١٤٥ ظ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠ .

(٣) سورة النساء آية ١١ .

(٤) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارمى ، وفى طبقات ابن سعد جـ٢ ق ٢ ص ١٣١ ، وأحمد فى مسنده ٤ / ١٨٦ .. و ٥ / ٢٦٦ ، والطيالسى فى ١١٢٧ .

وقال أهل هذه المقالة : إنما الناسخ والمنسوخ ما ينفي حكمُ الناسخ حكم المنسوخ، أن يحكم به على عين واحدة أو في حالين ، لتنافي ذلك في المعنى كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (١) وقال : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ (٢) ، فجعل عدة اللواتي حضن الاقراء ، واللائي لم يحضن لصغر أو كبر الشهور ، ثم نسخ من هؤلاء المطلقات اللاتي لم يُدخل بهن، فقال: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ (٣) ، فخرجن اللواتي لم يدخل بهن من حكم الآيتين جميعاً (٤) .

وهكذا قد آثرنا ذكر موقف العلماء في هذا المسالة . . لبيان الفرق في التعارض بين آيات الأحكام وآيات العقيدة والتوحيد . . وأن ما يجوز في الأولى - مع تحفظنا في كونه نسخاً - لا يجوز في الثانية .

ويحتوى القرآن على المحكم والمتشابه والمجمل والمفسروالمطلق والمقيد ؛ والعوام لا يدركون من ذلك شيئًا ، كما أنهم يقع في مداركهم أوهام ليست من القرآن في شئ، ولذلك يقول الإمام أحمد «وفي القرآن الكريم آيات متشابهات لها تأويل لا يعقله العوام ولا الغباة من الأنام ، ولها أيضا معاني دقيقة في لغة العرب تعرفها العرب في كلامها ويجوز في خطابها ، لما خاطبها رسول الله ﷺ وعلى آله عن الله ، جل ثناؤه بلسانها العربي المبين ، الذي لا عوج فيه ولا عماية في نسقه ولا خفاء عنهم في تصريفه ، ولذلك لزمتهم به الحجة ، إذ هو عربي لا يخفى عليهم منه حرف واحد فما فوقه ؛ لأنه عربي مبين ، كما قال الله ، عز وجل » . (٥) .

وجدير بالذكر الإشارة إلى موقف المتكلمين من حال العامة ، إن جال بخاطرهم شبهة من التشبيه . . يقول الأشعري : واختلف الناس في العامة والنساء الذين على جملة الدين ، إذا خطر ببالهم التشبيه على مقالتين :-

(١) فقال فريق : عليهم أن يتفكروا في ذلك ؛ ويتبعوا في ذلك حجة .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

(٢) سورة الطلاق آية ٤ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٩ .

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٥) انظر النص ١٣٩ و .

(٢) وقـال آخـرون : ليس ذلك بواجب عليهم ؛ وقد يجوز أن يعرضوا عنه فلا يعتقدوا فيه شيئاً ، ولكن عليهم أن يعتقدوا إن كان ناقضاً للجملة التى هم عليها ، فهو باطل [١] .

ومن عدل الله عز وجل ، ورحمته بعباده أنه يخاطبهم بما يعقلون عنه بمداركهم وما أعطاهم من حواس وعقل ويفهمونه : وليس يجوز فى عدل الله ، جل ثناؤه ، ان ينهى عن أمر لا يقدر أحد على دفعه عن نفسه ، ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لا نعقله ، ولا نقف على كيفيته ولانهتدى إلى وصفه ، ولا ندرى حتى يقع بنا من ليل أو نهار . . . لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل الحسن الفعل الذى لايجور ولا يظلم » . [٢]

والله ، عز وجل ، لا يجور ولا يظلم ولا يفعل قبيحاً ، كما يزعم المجبرة .

ومما لا يعقل فى حق الله ، تبارك وتعالى ، أن يحذرنا النار ثم يدس علينا شخصية إبليس لنقع فيها ! . . وبعد أن يقدم لنا الإمام أحمد مثلاً يقيس عليه فعل الحق تبارك وتعالى بنا فلا يجوز فى ذاته تعالى أن : « يحذرنا من النار ومن عمل يقربنا إلى الخلود منها أبد الأبيد . . ثم يدس إبليس وجنوده فى خفاء فيأتونهم من المواضع التى لايقدرون الحذر منها . . ! » [٣] .

وقد جاء بعد الإمام أحمد من استفاد من نظريته فى فهم المتشابه فى القرآن الكريم، ومن هؤلاء **القاضى عبد القاهر الجرجانى** فى **«دلائل الإعجاز»** **والزمخشرى** فى **«الكشاف »** و**«الأساس»** . . حيث أبدع الأول نظرية النظم ؛ وتحدث الثانى عن التفسير البيانى للقرآن الكريم ، وقد بين ذلك بوضوح الإمام يحيى فى كتابه **«الشامل»**، و**«الرائق»** [٤] .

* * *

---

(١) الأشعرى : المقالات ؛ ٢ : ١٠٣

(٢) انظر النص ، ١٤٢ ظ

(٣) انظر النص ؛ ١٤٣ و .

(٤) انظر الرائق في تنزيه الخالق بتحقيقنا والدراسة التى عليه . ص ١٦٠ - ١٦٢

٣ - المنهج واللغـة

ويتـابـع الإمـام أحـمـد فى رسم خطوط المنهج وخطواته فـيـقـرر أن هنـاك من آيات القـرآن ما لا يفهم إلا فى ضوء معانيها وما تنصرف إليه من لغة العرب فيذكر الفرق بين الحقيقة والمجاز ، واللغة العربية مجازية ، فيقول : « ومن الحجة لنا على من خالفنا وصرف معانى القرآن على ما يظن هو ، قول الله ، عز وجل : ﴿ **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[1] . . . ولا يعقل انه خلق من عجل ولكن العجل منه هو . . فيقول : إن أهل اللغة واللسان العربى يقولون : إن مجاز ذلك مثل قولهم عرضت الدابة على الماء . يعنى الماء على الدابة ، ومثل قوله ، تعالى : ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** (٢١) ﴾[2] وإنما الوجه أن تكون العيشة مرضية[3] .

ورد الزمخشرى على من تسائل بقوله: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله : ﴿ **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[1] ، وقوله : ﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** (١١) ﴾[4] ، أليس هذا من تكليف ما لايطاق ؟. . وأجاب بقوله : هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها ؛ لأنه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة »[5] .

أما الآية الثانية « فراضية » منسوبة إلى الرضا ؛ كالدارع والنابل ، والنسبة نسبتان : نسبة بالحرف ، ونسبة بالصيغة . أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها[6] .

ويقول ابن قتيبة فى كتابه « مشكل القرآن » : ومنه أن يجئ المفعول به على لفظ الفاعل »[7] .

كقوله سبحانه : ﴿ **لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ** ﴾[8] أى لا معصوم من أمره .

وقوله : ﴿ **خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ** (٦) ﴾[9] ، أى مدفوق[10] .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٧ .

(٢) سورة الحاقة آية ٢١ .

(٣) النص ؛ ١٤٧ و .

(٤) سورة الإسراء آية ١١ .

(٥) انظر الزمخشرى : الكشاف ؛ ٢ / ٦٥١ .

(٦) المصدر السابق : ٤ / ٦٠٣ .

(٧) ابن قتيبة : مشكل القرآن ؛ ص ٢٧٥ حتى ٢٩٨ .

(٨) سورة هود آية ٤٣ .

(٩) سورة الطارق آية ٦ .

(١٠) انظر فى ذلك مجاز القرآن لأبى عبيدة ؛ ١ / ٢٦٨ .

وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ [1] ، أى ماموناً فيه .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [2] ، أى مبصراً بها .

والعرب تقول : ليل نائم ، وسرٌّ كاتم ، قال « وَعْلَةُ الجَرْمى » :

ولما رأيت الخيل تترى أثايجاً .. علمتُ بأنَّ اليوم أحمسُ فاجرُ

، أى يوم صعب مفجور فيه [3] .

وهذا ما يسميه علماء اللغة والبلاغة المقلوب من الكلام ، فيقصد المتكلم اسم المفعول ويذكر اسم الفاعل أو العكس . وهو أنواع عديدة غير ما ذكرنا .

***

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٧

(٢) سورة الإسراء آية ١٢

(٣) انظر الأصمعيات، ص١٩٨ .. وهومطلع قصيدة من بحر الطويل .. وانظر « المعانى الكبير » لابن قتيبة كذلك ، ٩٤٦/٢ .

٤ - عرض السنة على الكتاب

ومن القواعد التي يذكرها كذلك الإمام أحمد لتفادى أكاذيب القصاص والمحدثين على رسول الله ، ﷺ ، عرض السنة على الكتاب : وأما ما رووا من الأحاديث في الشيطان ، وما أكثروا الرواية في ذلك عن النبي ، ﷺ ، وغيره فما أمكن التاويل في القرآن كان التاويل في الأحاديث أجدر وأحرى ، وليس كل حديث روى يجب أنه حق ، لما قد عرفنا من كذب كثير من الأحاديث مما يبطله القرآن .

وقد قال صلوات الله عليه وعلى آله وسلم : **«ما آتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق الكتاب فهو مني ، وأنا قلته»** ، وماخالف الكتاب يمكن تقريره بالقاعدة التالية :-

١ - التثبت من الحديث سنداً ومتناً .

٢ - إذا خالف الحديث ، الصحيح السند، صريح القرآن يرد إلى التاويل ، ما أمكن ذلك، في ضوء الكتاب .

٣ - إن استحال التوفيق ، أو تاويل الحديث ، بعد عرضه على كتاب الله يرد؛ الحديث لمخالفته لمحكم الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحتى لا يبطل الكتاب والسنة جميعاً ، وهى قاعدة يوافقه عليها أغلب المحدثين .

وقد اختلف العلماء في موضوع نسخ القرآن والسنة - عند من أجاز النسخ - فقالوا: هل يُنسخ القرآن بقرآن أو بسنة ؟ والسنة هل ينسخها القرآن أولا ينسخها إلا سنة مثلها ؟.. وجاءت آراؤهم على أقسام :-

(١) **فقال قوم** : لا ينسخ شئ من القرآن بسنة رسول الله ، ﷺ ، .. وهذا صحيح إن سلمنا بجواز النسخ في القرآن وهو موضوع طويل ، غيرأن كثيرين من القائلين بالنسخ في القرآن الكريم ، يقصدون به التدرج في التشريع .. وإلا كيف يجوز البداء على الله ؟!

---

(١) النص ١٤٧ ظ .

(٢) **وقال آخرون** : السنة تنسخ القرآن وتقضى عليه ؛ والقرآن لا ينسخ السنة ولا يقضى عليها . وأكثر هؤلاء من المحدثين .. وهوكلام يحتاج إلى نظر .. إذ كيف تقضى السنة بنسخ الكتاب ووجودها من وجوده .. ولم يكن النبى نبياً إلا بالوحى المنزل من السماء؟ .. والأصح أن السنة مبينة للكتاب وموضحة لمقاصده .. فالشرع كتاب وسنة لا يتناقضان حتى يقال بالنسخ بينهما .. إلا إذا كان توجيهاً وتصحيحاً لمسيرة الدعوة فى زمن التنزيل ، كما حدث فى أسرى بدر مثلاً .. فقد قضى الرسول ، ﷺ ، بحكم .. وعاتبه الكتاب على ذلك وبين له الحكم الآخر .. أوكما فعل الرسول ﷺ ، مع عبد الله بن أم مكتوم ، رضى الله عنه ، اجتهاداً منه .. ولامه الوحى فى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① ﴾ [١] ..

(٣) أما من قال بأن القرآن ينسخ السنة ، والسنة لا تنسخ القرآن .. فهو أقرب للصحة والصواب لما ذكرنا من قبل .

(٤) أما مقالة الفريق الأخير التى قال فيها : إن القرآن والسنة حكمان من حكم الله، عز وجل ، العلم والعمل بهما على الخلق واجب ، فجائز أن ينسخ الله القرآن بالسنة ، وأن ينسخ السنة بالقرآن ؛ لأنهما جميعاً حكمان لله ، سبحانه ، ينسخ من حكمه بحكمه ما شاء [٢] .

وهذا الفريق يبدو من كلامه الرحمة ، إلا أن النقاش معه يطول بداية من زعمه أن الله حفظ السنة كما حفظ الكتاب .. وكونهما بمنزلة واحدة .. ونهاية بقضية النسخ .. فهل تنسخ السنة الكتاب ؟! .. ومناقشة هذا الفريق تطول لكثرة جداله .. وتطبيقه الخطأ على مفاهيم لا نسلم بها أصلاً .

*** الأمثال فى القرآن الكريم :**

كما ذهب الإمام إلى أن هناك من آيات الله فى القرآن الكريم **ما هو ضرب للأمثال** لتقريب المعانى للمفاهيم قال تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ④③ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة عبس آية ١

(٢) الأشعرى : المقالات ٢ / ٢٥١ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٣

فأخبر أنه قد ضرب أمثالاً لا يعقلها إلا العالم بها ، وليس بجوز قولهم في الوسوسة على أحد له أدنى عقل ؛ إذ لا حجة معهم توجب قبول ذلك ممن خالفهم ، «والدليل على الخلق الاضطرار إلى قبوله ، وليس معهم في الوسوسة حجة تضطر أحداً إلى قبولها . . » [1] .

وتفسير هذه الآية يساعد في فهم المراد من النص ؛ فقد كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك، فلذلك قال : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] ، أى لا يعقل حسنها وفائدتها إلا هم ؛ لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي طرق إلى المعاني المحتجبة في الأشياء ، حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام ، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحاول الموحد، وعن النبي ، ﷺ ، أنه تلا هذه الآية فقال : «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سُخطه» [3] .

ويقول الإمام أحمد في هذا الصدد : «هذه الأمثال والمعاني تحتاج إلى التأويل وطاعة العلماء والمستخلفين من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام . . لأنه لا يعقلها إلا أهل العلم ولا علم لمن جهل معدن الحق وقدر النبوة وخيرة الأمة» [4] وماعظم المجبرة إبليس ورفعوا من شأنه إلا لجهلهم وتجاوزهم في عقائدهم ، فأشركوا من حيث لا يدرون شركاً كبيراً حيث نسبوا له قدرة خارقة وأعمالاً لا يأتي بها إلا الله الواحد .

ومن الأمثلة التي ذكرها الإمام أحمد من القرآن الكريم ، التي ضربها الله ، عز وجل، للتفهيم والتقريب ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [5] والسموات والأرض لم تقبل ولم تأت على وجه الحقيقة ، وإنما هو مثل لأنها جماديات لا تسمع ولا تبصر ولا ترى ولا تتكلم وليس لها وجدان أو عاطفة بها تشعر ، ولكنه مثل منه ، عز وجل ، يفيد أنها لوكانت تعقل كما يعقل الإنسان وتفهم كفهمه لماحملت الأمانة كما حملها ، ولأشفقن منها [6] .

---

(١) النص ؛ ١٤٩ و .

(٢) سورة العنكبوت آية ٣٤ .

(٣) الزمخشري : الكشاف ، ٣ / ٤٥٥ ، وبهامشه أخرج الحديث داود بن المحبر . . والواحدى والبغوى ، وذكره ابن الجوزى في الموضوعات .

(٤) ، (٦) انظر النص ؛ ١٤١ و .

(٥) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

ويذكر الطبري في تفسير هذه الآية والتي بعدها ، أن الله ، جل ذكره ، لما استخلف آدم على ذريته ، وسلطه على جميع ما في الأرض من الأنعام والطير والوحش – عهد إليه عهداً أمره فيه ونهاه ، وحرَّم عليه وأحل له ، فقبله ، ولم يزل عاملاً به إلى أن حضرته الوفاة .

فلما حضرته ، ﷺ ، سأل الله أن يعلمه من يستخلف بعده ، ويقلده من الأمانة ما قلده ؟.. فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشرط الذى أخذ عليه من الثواب إن أطاع ، ومن العقاب إن عصى ، فأبين أن يقبلنه شفقاً من عقاب الله .

ثم أمره أن يعرض ذلك على الأرض والجبال ؛ فكلها أباه ، ثم أمره أن يعرضه على ولده ؛ فعرضه عليه ، فقبله بالشرط ، ولم يتهيب منه ما تهيبته السماء والأرض والجبال.. ولذلك كان « جهولاً » بعاقبة ما تقلد لربه [1] ..

وبعد أن عرض بعض الاجتهادات الأخرى في تفسير الآية ، قال الطبري : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، ماقاله الذين قالوا : إنه عنى بالأمانة في هذا الموضع جميع الأمانات في الدين وأمانات الناس . وذلك أن الله لم يخص بقوله : « عرضنا الأمانة » بعض معاني الأمانات ، لما وصفنا » [2] .

ومن قواعد اللغة التي ينبغي مراعاتها وملاحظتها عند النظر في القرآن الكريم ما يذكره الإمام أحمد ، **وهو جواز مخاطبة الجميع بما يصح إطلاقه على الفرد** ، فقال : « يجوز في لغة العرب التي يخاطبه بها ، الجميع بالشيء الذي هو في البعض دون الكل .

والذي يقول عنه ابن قتيبة **«باب في مخالفة ظاهر اللفظ معناه»** ويذكر أن منه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل ، فيجعل الفعل لهما ؛ كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا** ﴾ [3] مع أن الذى نسي هو يوشع بن نون، أما موسى ، عليه السلام، فلم ينس [4] .

---

(1) انظر تفسير الطبري ؛ ٢٢ / ٣٨ – ٤٢ .

(2) تفسير الطبري ؛ ٢٢ / ٤١ .

(3) سورة الكهف آية ٦١ .

(4) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ؛ ص ٢٨٦ ومابعدها .

ومن أهم دواعي نقد المجبرة جهلهم بالعربية ومعانيها فى القرآن الكريم ، وفى ثنايا هذه الرسالة يقول الإمام أحمد معلقاً على سذاجة تفكير المجبرة : « فقد بان هذا وصح، وبطلت فيه دعوى كل كاذب على الله ، عز وجل ، وعلى كتابه ، إذ جهلوا القرآن ومعانى اللغة العربية فيه »[1] .

فهل كان العرب يعرفون معانى القرآن الكريم ، ويميزون بين الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة ، واختلاف المعنى مع اتفاق اللفظ والعكس وغير ذلك؟ . .

يقول الإمام أحمد : « وللقرآن معانى تحتاج إلى التأويل والمعرفة باللغة التى خاطب الله ، عز وجل ، بها رسوله ، صلوات الله عليه ، وخاطب بها رسوله الله ، ﷺ ، العرب الذين عرفوا عنه ماتلا عنهم ، ولم يخف عليهم من ذلك حرف واحد فى التلاوة ، ولا فى التأويل؛ لأنه لوعىً عليهم حرف واحد ؛ لقالوا : هذا حرف لا نعرفه فى اللغة العربية ، ولو جهلوا شيئاً من القرآن لم تلزمهم به حجة »[2] .

* * *

---

(١) النص ؛ ١٣٨ و .

(٢) النص ؛ ١٥١ ظ .

٥ - المنهج والعقل

يأتى بعد ذلك لتمام خطوات المنهج المعرفى الإسلامى مراعاة قواعد النظروالاستدلال العقلى ، فإذا كانت المعرفة نصية تعتمد على النقل والوحى ، فالجانب الآخر منها هو العقل ، وللعقل أدوات للإدراك يشير إليها الإمام أحمد فى رسالته فيقول : « لا نعقل الوسوسة والأمر بالفحشاء ولا وعد الفقر إلا على قدر البينة التى نبأنا الله ، عز وجل ، عليها وماجعل لنامن الإدراك **بالحواس الخمس وبخاطر العقل**.. وليس البينة التى نحن عليها تعقل الأشياء ولا تصل إلى علمها إلا من هذه الجهات ، وهى الحواس الخمس - التى لا سبيل لبنى آدم إلى شئ مما يدركونه إلا بها - وقد سقطت كلها عما ادعوا ، وإن إبليس لم يأتنا قط من قبل الحواس الخمس.

وقد أكد الإمام أحمد على أثر الإدراك الحسى فى المعرفة فخاطب المجبرة فى ادعائها الوسوسة بانه يلزم عن ذلك أنه لا يعقل إلا بإدراك الحواس الخمس ، وقد صح أن الحواس لا تدرك إلا ما كان محسوساً ، ولذلك سميت الحواس لحسّها الأشياء كلها ، وإدراكها لها كلها ؛ ولذلك يقع عليها التاديب والتكليف بالأمر والنهى والجزاء بالثواب والعقاب [١] .

ثم بين أهمية هذه المدارك فى النظر والاستدلال على قضية الوجود والتوحيد ، وقد نوه القرآن الكريم ونبه إلى أهمية التفكير والتدبر والتذكر والتامل فى ملكوت السموات والأرض والأنفس والآفاق لإدراك العبرة فيها وإعجاز خالقها وحكمته وتأمل الإتقان فى صنعها ؛ فإذا عطلنا الإدراك الحسى والعقلى فقد أبطلنا الشرع والعقل جميعاً ولا خطاب لمن لا عقل له .

وعلى هذا فكل ما لا تدركه الحواس فلا حجة فيه عليها لله الواحد ، ولذلك كانﷺ يؤكد على أنه رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ وعن الطفل حتى يبلغ وتكتمل أدوات المعرفة عنده ، وكذلك يسقط التكليف عن المضطر ؛ لكون الحرية شرط فيه ، والمجنون والساهى لامتناع وجود العقل : « ما لا تدركه الحواس فلا

---

(١) انظر النص ١٣٩ و .

حجة عليها فيه لله الواحد ، الذى لا يدرك بالحواس ، وبذلك وجبت له الوحدانية ؛ واستحق الربوبية ، **إذ لا يدرك ولاتدركه الحواس ولا يقاس بالناس»** [1] . **وعلى هذا فإن** إدراك التكليف شرط من شروط قبوله .

***

٦ - الحـــواس

ولأهمية الحواس فى تحديد معالم المنهج العقلى يجدر الإشارة إلى أن القدماء شغلوا بتحديد ماهيتها إلى مذاهب مختلفة . .

١- فقالت **المانوية** : الإنسان هو الحواس الخمس وأنها أجسام ، وإنه لا شئ غير الحواس ؛ لأن الأشياء عندهم شيئان نور وظلمه ، وينقسم النور إلي خمس حواس ، وكذلك الظلام : هى السمع والبصر والذوق والشم واللمس . .

٢- أما **الديصانية** ، وهى ديانة شرقية كذلك ، تؤمن بالاثنينية فقد نفت عن الظلام الإحساس ؛ لأنه عندها موات جاهل ؛ واثبتت للنور الحياة وبالتالى الإحساس ؛ بنفسه . . وكذلك أثبتت وحدة الحواس وإن اختلفت المدارك لاختلاف الأعراض . . وحاولوا تفسير خلق الألوان ، رغم أن العالم عندهم لونين هما الأبيض والأسود ، اللذان يرمزان للنور والظلمة ، بأن اختلاط الأثنين وامتزاجهما أدى لهذه النواتج اللونية .

٣- وقدم **المرقونية** تفسيراً لماهية الذات الإنسانية ، أقرب للفكر الفلسفى الشرقى القديم ، فقالوا بأن البدن كل مجموع من الروح والحواس الخمس ، ومع ذلك تتمايز الجسمية / البدن ، عن الروح / القلب / النفس ، عن الحواس .

٤- أما من أنكر الأعراض فقد أنكر الحواس ، أو بمعنى أصح أنكر الإدراك الحسى ، واثبتوا مع ذلك سمعياً بصيراً ؛ دون إثبات للسمع والبصر!! . . وكلامهم جدلى بحت ليس فيه من العقل شئ ، حيث اثبتوا ونفوا ما أثبتوا .

٥- ولكن الإسلاميين أثبتوا الحواس الخمس . . وأخذوا يبحثون عن حاسة سادسة اختلفوا فى تحيدها . . كما أنهم ميزوا بين الإدراك والحاسة التى يدرك بها الإنسان . . ولذلك تسائلوا هل الحواس جنس واحد؟

---

(١) انظر النص ؛ ١٣٩ و .

وهل الشم والذوق واللمس إدراك للمشموم والمذوق والملموس ، كما بحثوا كيفية رؤية الأجسام والأعراض .. وهل هذه الحواس تدرك المحسوسات بنفسها أم بغيرها .. وما سبب الإدراك ، بمعنى هل تدرك الحواس باختيارها أم لعلة طارئة عليها ؟!

كما تطرقوا إلى قضية محل الإدراك من جسم الإنسان، هل يدرك الإنسان المرئيات بعينه فقط ، أم أنَّ العين وسيلة حسية حتى ينتهى الإدراك إلى محله الأصلى ، وهو القلب / العقل »[1] .

وقصدت من ذكر ما سبق إلى بيان أنه قد كان فى تاريخ الفكر الإسلامى تياراً واعياً يدرك الأشياء إدراكاً متكاملاً .. وله قدرة على تحديد القضايا وتحليلها وتفسيرها .. فى مقابل تيار آخر أشبه بالراوى والقصاص فى صعيد مصر .. لا تخرج دائرة المعرفة لديه عن بعض الحكايات التى ورثها أوجمعها من رحلاته بين البلاد .. ولذلك هو لا يضيف ولا يبدع فى المعرفة ، وحدود ما يعرف هو تلك الخبرة المتوارثة المنقولة .. ولذلك يستهلكها حكاية ونظراً .. ويفسر بعضها ببعض .. وربما كان هذا القصاص وأمثاله أحد زوايا مثلث التخلف فى تاريخ الفكر ؛ لأن لكل مشكلة حلاً جاهزاً أبدعه القدماء ، لا ينبغى تجاوز أبعاده بحال من الأحوال .. وهذا التيارهو تيار التكفير والتفسيق والإرهاب الفكرى فى كل زمان، ولا نتجاوز إن سميناه **«الأصولى المتزمت»** .

ففى حين يؤصل القدماء للمنهج وحدوده وأبعاده ، والأطر التى تفيد الممارسة العلمية وتنميها .. يبقى هذا التيار المتزمت حاصراً نفسه فى مروياته العاجزة .. والغريب هناك من يصدره دائماً ليتحدث باسم الإسلام، حتى فى زماننا ، ليعيرنا به!!

* * *

---

(١) انظر الاشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ؛ الجزء الثانى ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ٦٠ .

٧ - المنهج وإنصاف الخصوم

كما بين الإمام أحمد أن من أهم أسس المنهج النقدى للخصوم ، هو ذكر مقالتهم على وجهها - دون تشويه - كاملة ، ويعد ذلك من الإنصاف ؛ كما أنه يسلم لهم إن جاءوا بحجة قاطعة : « ونحن من بعد هذا كله نقول لهم إن جاءوا بحجة قاهرة ودلالة باهرة تشهد عليها عقولنا وعقول من سمعها من غيرنا ، سلمنا لهم » (١) .

والعكس صحيح « فإن لم يأتوا بحجة توجب لهم علينا أن لإبليس اللعين الذليل الضعيف ، قدرة أقدره الله ، عز وجل ، كقدرته هو تبارك وتعالى الذى لا يقدر على مثل قدرته أحد غيره ، فالقول قولنا والحق معنا دونهم » (٢) .

ولا يعد إنصاف الخصوم شكاً فى الحجج ولكن من تمام إقامة المنهج وصحة المناظرة والمجادلة بالحسنى التى من أهم أهدافها الوصول إلى الحق لانصرة الرجال والمذاهب أو تقليد الرؤساء والكبراء والأجداد ؛ ولذلك يشير الإمام أحمد أنه لم يأت بدعاً من القول فقد سبقه جده الإمام علي بن أبي طالب فى ذلك الأمر عندما تجادل مع الخوارج فى شأن موقفه من التحكيم ورميهم له بالشك فى نفسه فرد عليهم بقوله : إنما قلت هذا من طريق الإنصاف ، وقد قال الله ، عز وجل ، لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣) وقد علم ، صلوات الله عليه ، أنهم لايأتون بكتاب أهدى من كتابه أبداً ، وإنما هذا لحد الإنصاف .. » (٤) .

وقد ورث الإمام أحمد من جده الإمام القاسم الرسى ت ٢٤٦ هـ هذا الإنصاف فى مجادلة الخصوم .. كما ورث من أجداده كذلك أدب الحوار والجدل ، وهو سمة بارزة وراسخة فى المنهج الإسلامى ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (٥) .

وعلى قدر ما دعا القرآن إلى الجدل بالحسنى والنصح والوعظ للخصوم ، والأدب فى الحوار .. فقد نفر من الجدل المغالطى ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا

---

(١) ، (٢) انظر النص ؛ ١٤٩ ط ،

(٣) سورة القصص آية ٤٩ .

(٤) النص ؛ ١٥١ و .

(٥) سورة النحل آية ١٢٥ .

﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١] .. وكره المجادلة دون علم أو نظر : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [٢] .

يقول الإمام القاسم : « فلابد لمن أنصف خصماً فى منازعته له ومجادلته ، من ذكر مايرى الخصم أن له حجة من مذهبه ومقالته ، فإذا ذكر ذلك كله ، بان ما فيه عليه وله ، فكان ذلك لباطله اقطع ، وفى الجواب له أبلغ وأجمع » [٣] .

وقد جادل خصومه من النصارى ، مراعياً أبعاد وحدود هذا المنهج : « والنصارى فهم خصماؤنا فى الله ، فلابد من تبيين ما افتروا فيه على الله ، وهم ممن قال الله فهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٤] ، ومن الذين قال فيهم : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [٥] ، فهم فى ذلك كغيرهم من كفرة الأمم » [٦] ، أى لهم حق الإنصاف ، وعدم الجور عليهم أو الاعتداء على عقائدهم أو نفوسهم .

ثم قال : « فليفهم من قرأ كتابنا هذا ، ما نصفه فيه من قولهم ، فسنصفه بما يعلمه علماء كل فرقة منهم ، إن شاء ، ونعرفه ونستقصى لهم فيه كله ، ما استقصوا لأنفسهم من المقال .. ثم نجادلهم فيه على الحق ، بالتى هى أحسن وأبلغ فى الجدال ، وندعوهم إلى سبيل ربنا وربهم ، بالحكمة والبينة ونعظهم ؛ إن شاء الله ، فيه بالمواعظ البليغة الحسنة » [٧] .

هكذا كان المسلمون القدماء أكثر تسامحاً وأدباً فى الحوار ، ولديهم مساحة واسعة يعيشون فيها مع خصومهم فى العقيدة على أرض واسعة رحبة ، ومن وحى هؤلاء العظماء القدوة ينبغى أن نأخذ منهم سنة التسامح ، ومشاركة الآخرين فى كل ما تسمح به الظروف المعاشة ، فلا مانع من الشراكة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. طالما أن الآخر متفاهم أو مواطن ، فيكون له نفس حقوق المواطنة مثلاً بمثل ، دون أى انتقاص أو افتئات أو فتنة .. وهكذا نضمن للوطن أمنه وأمانه ، ونفوت على أعدائنا الحقيقين فرصة الوقيعة بيننا .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٦ .
(٢) سورة الحج آية ٨ .
(٣) انظر القاسم الرسى : الرد على النصارى ، ص ٣٢ بتحقيقنا .
(٤) سورة لقمان آية ٢٠ .
(٥) سورة الحج آية ١٩ .
(٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٧) المصدر السابق .

الفصل الثالث

التكليف

وفى إطار بيان شروط التكليف تحدث الإمام أحمد عن الاستطاعة وكونها لازمة لصحة التكليف ؛ فقد منح الله الإنسان الحرية والعقل والاستطاعة اى القوة والقدرة على الاختيار وترك له حرية أن يؤمن أو يكفر ، أوان يفعل الطاعات وماكلفه به أو يتركه ويعصاه ، ورتب على ذلك الجزاء ، وهو من جنس العمل ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ [(١)] .

الإنسان محاسب بقدر مامنحه الله من الحرية والقدرة على استقبال التكاليف وأدائها كما أمره ؛ فمن أكره أو اضطر الى فعل معصية أو الكفر به أسقط عنه التكاليف وبالتالى لم يحاسبه لعدم وجود القدرة والاستطاعة والحرية فى الاختيار . . وكذلك سقط التكليف عن المجنون والنائم ، وقياساً على ذلك سقط التكليف عن المريض إن كان مرضه سبباً فى عجزه عن اداء ماكلف به . .

ويؤكد القرآن دائما على يسر التكاليف ، ومعقوليتها وإمكانية إدراكها ومعرفة العلة أيضا من تشريعها بالعقل ، وجعل الأولى شرطاً فى إقامتها أما الثانية فلا ، لأنه لا حصر لحكمة الله من التشريع فما أدركه الإنسان من علل التشريع ، فبتوفيق من الله وهدايته ، وما غاب عنه من حكمة بعض التشريعات فرحمة من الله به ، ولله فضل يعطيه من يشاء من عباده .

عموماً قد أعطى الله كل المكلفين من عباده القدرة على الاستطاعة ؛ وكلفه ماهو فى طاقته ووسعه ، كما أنه جعل هذه الاستطاعة قبل الفعل « لأن الله عز وجل فى عدله وحكمته ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ ، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله »[(٢)] .

ولذلك نقد الإمام أحمد المجبرة فى زعمها أن الاستطاعة بعد الفعل بأنه يلزم من ذلك « أنه قد أمره - أى آدم عليه السلام أو المكلف - بامر هو خارج عن طاقته ، وأنه قد كلفه ما ليس فى وسعه ؛ وانتقض قوله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [(٣)] و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [(٤)] . كما يلزم من ذلك اعتقاد المجبرة بإبطال القرآن وهو حجة الله التى لا ترد ولا تبطل .

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨

(٢) انظر النص ١٤٨ و .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق آية ٧ .

وإبليس من جملة المكلفين ، هوجميع الجن ، قال تعالى : ﴿ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)﴾ [١] ولذلك فهو وذريته وجميع الجن لهم استطاعه على الفعل فمن آمن منهم ، آمن باختياره.ومن كفر وعصى كفر وعصى باختياره ، ولم يجبره الله على فعل أو اضطره إليه [٢] .

ويقول صاحب الكشاف فى هذه الآية : «اى وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة ، ولم أرد من جميعهم إلا إياها . وَرد على التساؤل التالى : لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً ؟.. فأجاب بقوله : إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها ، لأنه خلقهم ممكنين ، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم [٣] .

وخطأ المجبرة فى زعمها أن الاستطاعة مع الفعل أو بعده ، بيّن واضح ، إذ كيف يتيسر للمكلف الاختيار بعد الاضطرار أوحدوث الفعل حسبما اتفق؟!.. إنهم يصورون قضية الخق والوجود على أنها تمثيلية اضطر الخالق إليها ، وقد انتهى من حسم النتائج قبل بداية الخلق كما يريد ، خلقاً وأمراً ، ولا يفرقون بين إرادة الخلق التى هى له ، وإرادة الأمر التى منح بها عباده - بقدرته - اختياراً حراً .

وإذا شئنا بعض التفصيل حول مسالة التكليف أخذنا فى بيان أن الاستطاعة والطاعة والقدرة والقوة ألفاظ مترادفة ، إذا أضيفت إلى العبد يراد بها كلها معنى واحد فى مصطلح أهل الأصول .

يقول **الجرجانى ت ٨١٦ هـ** صاحب «التعريفات» عن الاستطاعة : «هى عرض يخلقه الله فى الحيوان ، يفعل به الأفعال الاختيارية . **والاستطاعة والقدرة والقوة والوسع والطاقة** متقاربة المعنى فى اللغة ، أما فى عرف **المتكلمين** : فهى عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك .

والاستطاعة الحقيقية : هى القدرة التامة التى يجب عندها صدور الفعل ، فهى لا تكون مقارنة للفعل . **والاستطاعة الصحيحة** : هى أن ترتفع الموانع من المرض وغيره» [٤].

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٢) انظر النص : الصفحة نفسها .

(٣) الزمخشرى : الكشاف ، ٤ / ٤٠٦

(٤) الجرجانى : التعريفات ، ص ٣٠

فالمعانى الدالة على القدرة واحدة واختلفت الأسماء » وعلامة اتفاق هذه الألفاظ فى المعنى ، أنك لو أثبت ببعضها ونفيت بالبعض لتناقض الكلام » [1] .

وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين :

١- **القسم الأول** : المقصود به سلامة الأسباب والآلات وصحة الجوارح والأعضاء ، وهى المعينة بقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾[2] . قيل هى الزاد والراحلة [3] .

وبقوله : ﴿ **فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ﴾ [4] ، اى لم يكن له الآلات السليمة والأسباب الصالحة ، وبقوله تعالى : خبراً عن أهل النفاق : ﴿ **لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ** ﴾ [5] ، اى لو كانت لنا الآلات السليمة والأسباب .

وصحة التكليف تعتمد على هذه الاستطاعة ، إذ العادة جارية أن المكلف لو قصد اكتساب الفعل عند سلامة الأسباب وتوفر الآلات ، لحصلت له القدرة الحقيقية ، وإنما لا تحصل له لاشتغاله بضد ما امر به ، فصار مضيعاً لحقيقة القدرة [6] .

٢- **أما القسم الثانى** : الاستطاعة التى هى حقيقة القدرة ، وهى المعنية بقوله تعالى : ﴿ **مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ** ﴾ [7] ، الا ترى أن الله ، تعالى ، قد ذمهم بذلك ، والذم إنما يلحقهم بانعدام حقيقة القدرة عند وجود سلامة الأسباب وصحة الآلات ، لا بانعدام سلامة الأسباب وصحة الآلات ؛ لأن انتفاء تلك الاستطاعة لا يكون بتضييعه ، بل هو مجبور ، فلم يلحقه الذم بالامتناع عن الفعل عند انتفائها[8] .

والاستطاعة الثانية عرض .. تحدث عند **الأشاعرة والماتريدية** مقارنة للفعل .. ولكن **المعتزلة** خالفوهم فقالوا بأنها تقدم الفعل وتسبقه ، قال القاضى عبد الجبار :

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ، ١ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٤) سورة المجادلة آية ٤ .

(٥) سورة التوبة آية ٤٢ .

(٦) انظر النسفى : كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ، ص ٢٥٨ .

(٧) سورة هود آية ٢٠ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

« القدرة متقدمة لمقدورها غيرمقارنة له » [1] . وكذلك قال الخياط فى كتابه « الانتصار »[2] ، ووافقهم الزيدية فى أن الاستطاعة قبل الفعل [3] .

أما الضرارية أتباع **ضرار بن عمرو** فقد وافقوا **الماتريدية والأشاعرة** فى القول بخلق الأفعال وفى نفى التولد ، ووافقوا **المعتزلة والزيدية** فى الاستطاعة [4] أما **النظام** فقد كان يرى أن الإنسان قادر بنفسه [4] ، ونفى **الأسوارى وأبو بكر الأصم** الاستطاعة إذ إنها ليست معنى وراء المستطيع .. بل الإنسان مستطيع بنفسه [5] ..

وعند تحليل رأيهما نجده لفظى لا يعبر عن شئ ، إذ إنهما يريان الاستطاعة مركبة فى الإنسان يستدعيها قبل فعله .. وهو كذلك صحيح .. ولكن جاء الخلاف من أن الآخرين ذهبوا أنها غير الإنسان .

والدليل على أنها معنى وراء الجسم ، هوأنا نجد رجلاً سليم الجوارح يحمل مرة حملاً مقداره خمسين رطلاً ، ثم يحمل بعد ذلك حملاً آخرمقداره مائة رطل ، دون زيادة فى أعضائه !!

ويوافق الماتريدية والأشاعرة المعتزلة فى أن الاستطاعة ، التى هى بمعنى سلامة الأعضاء والآلات ، سابقة على الفعل .. وخالفوهم فى الثانية فقالوا القدرة إنما تكون ليحصل بها الفعل ، فلو كانت مقارنة للفعل لماكان حصول الفعل بالقدرة أولى من حصول القدرة بالفعل والقول به محال [6] .

قال القاضى : و« الذى يدل على فساد مذهبهم – أى الأشاعرة – هو أنه لوكانت القدرة مقارنة لمقدروها ، لوجب أن يكون تكليف الكافر بالإيمان ، تكليفاً لما لا يطاق ، إذ لو أطاقه لوقع منه ، فلما لم يقع منه دل على أنه غير قادر عليه ، وتكليف ما لا يطاق قبيح ، والله ، تعا لى ، لا يفعل القبيح » [7] .

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٠ .

(٢) الخياط : الانتصار ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ٩٦ .

(٣) انظر يحيى بن حمزة : الرائق ، ١٩٤ بتحقيقنا ، والأساس : للقاسم ، ص ١٠٥ .

(٤) انظر الشهرستانى : الملل والنحل : ١ / ١١٤ – ١١٦ .

(٥) انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٧٤ .

(٦) النسفى : التمهيد ، ص ٢٦٤ .

(٧) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٦ . والباقلانى : التمهيد ، ص ٢٩٤ .

واتفق أغلب المتكلمين على أن من زعم بوجوب وجود الفعل ممن لا قدرة له ، واستحالة وجوده من القادر فهو عديم الحظ من العلم والعقل [1] .

« القائل إن العبد كلف بتحصيل فعل لا قدرة له عليه وقت الفعل ، قائل بتكليف ما يطاق ، ولو لم يكن هذا حماقة ووقاحة فلا وجود لهما فى الدنيا! » [2]

وتأتى ثمرات التكليف موافقة لطبيعة اختيار العبد ، والله عادل عدالة مطلقة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3] ، فيعرض المطيع لأعلى درجات الثواب ، ويعاقب المسئ أو يعفو عنه برحمته وفضله [4] .

ويشير القاضى عبد الجبار إلى ذلك : « وثمرته أنه ، تعالى ، إذ خلقنا وأحيانا وأقدرنا وأكمل عقولنا وخلق فينا شهوة القبيح ونفرة الحسن ، فلابد من أن يكون له فيه غرض ، وغرضه إما أن يكون إغراء له بالقبيح ، والتكليف لا يجوز أن يكون غرضه الإغراء بالقبيح ؛ لأن ذلك قبيح ، وقد ثبت أن الله ، تعالى ، لا يفعل القبيح ، فلم يبق إلا أن يكون غرضه بذلك التكليف ، وأن يعرضنا بالتكليف إلى درجة لا تنال إلا به » [5] .

محاولة المكلف معرفة علة كل تكليف أمرمرهق ، ولا معنى له إذا شغله عن العمل، أو رفض العمل بالتكليف حتى يعرف علته وقصد الله منه ؛ وهوأمر ليس فى قدرة كل واحد من البشر ، وإن جاز عقلاً أن يتعاون جمع على دراسة علة جميع التكاليف الشرعية ، ولن يعرفوا كل الوجوه ؛ لأنهم لن يحيطوا بحكمة الله وعلمه .

وكما أن رد الشرع كفر فإن الحكم بعدم عليته مرفوض ؛ لأن المشرع حكيم عادل والحكمة صفة كمال ، وفعله يأتى موافقاً لحكمته وعدله ورحمته ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [6] ، وقد قام علم أصول الفقه على معرفة العلة من الأحكام ، وتوظيف ذلك فى خدمة القياس الشرعى بأنواعه المختلفة [7] .

---

(١) النسفى : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .
(٣) سورة يونس آية ٤٤ .
(٤) أمام عبدالله : الآراء الكلامية للقشيرى ، والصوفية ٣٢٥ .
(٥) القاضى عبد الجبار : المصدر السابق ، ص ٥١٠ .
(٦) سورة الدخان آية ٣٨ .
(٧) إمام عبدالله : الآراء الكلامية للقشيرى والصوفية ، ص ٣٢٦ .

الفصل الرابع

عقيدة المجبرة في إبليس

١- يعتقد المجبرة أن إبليس قادر على أن يعدهم ويمنيهم ويوسوس إليهم ويغويهم ويأمرهم بالفحشاء والمنكر فيأتمرون بأمره ، وأنه قريب منهم قرب الملائكة وقرب الحق، تعالى، من حبل الوريد ، وأنه يوصل إليهم ما يريد ويلقيه فى قلوبهم ، وهم لا يدرون كيف يحدث ذلك كله وحجتهم فى ذلك آيات من كتاب الله - لم يدركوا تأويلها ولم يحسنوا فهمها - ومن ذلك قوله ، عز وجل :-

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [١] .

﴿ لَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ [٢] .

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ﴾ [٣] .

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ [٤] .

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) ﴾ [٥] .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٦] .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ [٧] .

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ [٨] .

ففهموا من هذه الآيات أن الشيطان يفعل كل ذلك وزيادة ، ويراهم من حيث لا يرونه ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [٩] .

٢- ونفى أهل الوسطية والاعتدال هذا الافتراء على الله ، عز وجل ، وبينوا للمجبرة أنهم قد غلطوا واخطأوا فى التأويل والتعبير ؛ وحقيقة الأمر ان الله ، عز وجل ، حكى لنا فى كتابه ان إبليس ومن أطاعه ، يريدون ويتمنون أن لو اتبعناهم وعصينا كما عصوا وكفرنا كما كفروا ، وهى مجرد حكاية كقول الرجل لابنه : افعل او افعل كذا..

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ .
(٢) سورة الأنعام آية ٤٣ .
(٣) سورة محمد آية ٢٥ .
(٤) سورة يوسف آية ٤٢ .
(٥) سورة الإسراء آية ٦٤ .
(٦) سورة المجادلة آية ١٠ .
(٧) سورة الزخرف آية ٣٦ .
(٨) سورة الأعراف الآيتان ١٦ ، ١٧ . .
(٩) سورة الأعراف آية ٢٧ .

أما إنه أراد ، تعالى ، أن يثبت لإبليس ومن تبعه من الجن و الإنس قدرة على خلقه وأفعالاً خارقة تلهيهم عن طاعته وذكره وأن لهم سلطاناً على قلوب عباده كسلطانه ، فهو باطل من القول وافتراء وزوراً ، فلا إبليس ولا غيره من الجن قادرون على أن يلقوا إلينا قليلاً أو كثيراً لا سراً ولا علانية ولا مواجهة ولا في خفاء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [١] .

فمن أين أتى لهذا الضعيف الكيد الذليل النفس الحقير الشأن ، هو ومن تبعه إلى يوم الدين ، الذى لحقته لعنة رب العالمين فى الدنيا والآخرة ، كل هذه القدرات الخارقة التى لم يمنحها الله لملك مقرب ولا لنبى مصطفى ولا لولى مختار ؟!

٣- إن من يعتقد هذه العقيدة فى إبليس وأعوانه قد أشرك بالله رب العالمين شريكاً هو له عدو مبين ، وقدح فى توحيده وأفسده ، ومن أجل ذلك عليه أن يصحح عقيدته فى إبليس والجن ، وأن يضعهم فى حجمهم الحقير الذى شاء الله أن يضعهم فيه ، وأن لا يعدوا قدره فيهم فينسب لأعداء الله وشرار خلقه ما هو لله ، ذاتاً وصفاتاً وأسماء ، فيكفر من حيث لا يدرى .

وأول ما ينبغى اعتقاده فى إبليس هو أنه خلق من خلق الله ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) ﴾ [٢] ، ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ [٣] .. وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [٥] .

٤- فإبليس من خلق الله ، وهو من الجن بنص الكتاب ، وقد أمره هووالجن بطاعته وعبادته ، كما أمر الإنس بطاعته وعبادته ، ولكنه وحده عصى ربه وفسق وفجر وأبى طاعة ربه .. فهو إذن مخلوق للطاعة لا للمعصية والفسوق وإغواء خلق الله .. وهو فى إغوائه لبنى آدم عاص لله فاسق .. ولايمتثل أمر ربه ، وكل من اتبعه من ذريته أو

---

(١) سورة النساء آية ٧٦ .
(٢) سورة الرحمن آية ١٥ .
(٣) سورة الحجر آية ٢٧ .
(٤) سورة الكهف آية ٥٠ .
(٥) سورة الذاريات آية ٥٦ .

من بني آدم ،هم مثله فسقوا كفسقه وعصوا كعصيانه ، ولذا فهم له أتباع وهو لهم سيد ومتبوع .

فقد فسق باختياره ، والله ، عز وجل ، حذرنا من اتباعه ، ولامنا عند اقتفاء نهجه وأثره في المعصية ، ولا يمكن أن يحذرنا الله ، عز وجل ، شيئًا سلطة علينا أبداً ، ولو كان مكلفاً بإغواء الناس ، لكان مطيعاً لأوامر ربه فاعلاً ماكلفه به ؛ ولا يقول بذلك مسلم عاقل ؛ لأن في ذلك نقض للقرآن وإبطال لآيات الرحمن ، وخروج من حظيرة الإيمان .

إن إبليس أمر بالعبادة والطاعة فعصى وفسق ، وهو في عصيانه لأمر ربه ملوم .. ووجب عذابه بمعصيته .. ولم يقدره الله على خلقه ؛ لأن ذلك يلزم عنه كونه خالقاً مع الله قادراً قوياً ، وهو شرك يخرج من الدين .

إنَّ المجبرة في إدعائها ان لإبليس قدرات خاصة خالفوا القرآن وجعلوه شريكاً لله في ملكه ومسلطاً من دونه على عباده ، ويلزمه من ذلك أنه خير من الأنبياء والأولياء والملائكة المقربين ؛ لأنه أعطى ما لم يعطوا من منزلة شريفة ومرتبة رفيعة ، وصارت خطراً عظيماً يحسدونه عليه ، ومن يجّوز ان يكون للعاصي الفاسق ما لا يكون للطائع العابد ، فهو إما جاهل أو معاند كفور .

* * *

الفصل الخامس

إبطال مزاعم المجبرة في إبليس من وجوه

ذهب الإمام أحمد إلى إبطال حجج المجبرة فيما نسبوه لإبليس من قدرات فائقة على الخلق بها يوسوسهم ويغويهم عن سواء السبيل بما يلى :

١- **الحجة الأولى** : وتمثلت فى ان كل ما ادعوه من آيات القرآن وذكر فيها ، تعالى ، وسوسته لنبى آدم ينصرف إلى الهوى ، الذى يهواه الناس مع شيطان بنى آدم أيضا .. وإنما الهوى شيطان ؛ لأنه رضا للشياطين [١] .

قال تعالى : ﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنفُسُ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [٤] .

٢- **الحجة الثانية** : ان الذى يعد الناس ويمنيهم هو شيطانهم من الإنس لا الجن ، والناس عاجزون من جميع الوجوه فى صرف هذا المعنى إلى الجن دون الإنس ، فنحن وهم لم نشاهد احداً يعد بالفقر ويامر بالفحشاء إلا شيطان بنى آدم : « فكيف جاز لهم ان يقطعوا الشهادة على شيطان الجن دون شيطان الإنس »[٥] ؟! .

وقد اعلمهم الله ، عز وجل ، ان فى الإنس شياطين وفى الجن شياطين ، قال، تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [٦] .

وقال ، تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [٧] .

وعلى هذا يقطع أهل العدل والتوحيد بان الله لم يقدر إبليس على ما يفعل من المعاصى والذنوب وإغواء الخلق ، وإلا لزم من ذلك فساد حكمة الحكيم وبطلان عدله : « لزمه ان حكمة الحكيم ها هنا غير حكمة ؛ وحسن نظره لخلقه غير حسن نظر ، .. إذ اقدر عليهم عدواً يأتيهم من حيث لا يعلمون ، وقد أمرهم بمخالفته بعدما اقدره عليهم ..

ويلزم من ذلك بيان كيف يعدُ إبليس ويوسوس لبنى آدم ، بما يتفق مع العقل

---

(١) النص ، ١٣٦ ط .

(٢) سورة النجم آية ٢٣ .

(٣) سورة القصص آية ٥٠ .

(٤) سورة الكهف آية ٢٨ .

(٥) النص ، ١٣٧ ط .

(٦) سورة الانعام آية ١١٢ .

(٧) سورة البقرة آية ١٤ .

وتقبله مدارك الإنسان ؛ كما أنه يلزم من كلام المجبرة إقدار الله لإبليس على الاطلاع على القلوب وعلمه ما فى الضمائر وقدرته على تصريفها وتقليبها ، وهو أمر مدح الله به نفسه ولا يكون إلا له .

والتساؤل الذى يلزمهم هل هناك وسوسة أصلاً ، أم أنه فهم خطأ للقرآن وآياته، وأن لها تأويلاً وتفسيراً وبياناً غفلوا عنه واستهواهم نسبة إله للشر ، كما فعل المجوس والمانوية والثنوية وعبدة الأصنام فى كل زمان ؟!

وخلاصة القول أن الهوى هو الذى يدعو الإنسان إلى كل خير أو شر ، وهو الذى يوسوسه ولا فاعل لذلك غير الإنسان ، إذ لا قادر على تصريف القلوب وتصريفها سوى الله الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له .

ثم ما هو ذلك الوسواس المقصود فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ [١] ؟

الوسواس هو ما يخطر على قلب الآدمى ، من ذكره الجنة والناس ، لا أنه يوسوسونه فى صلاته . . فأما غير الصلاة فإن شياطين بنى آدم توسوس إخوانها بكل شئ مما تأمرها به، وتشير عليها من القتل والزنا والسرقة والشرب للخمر وجميع المعاصى[٢] .

إن الهوى أعظم ألف مرة من إبليس فى إغواء الإنسان ، وقد سماه الله إلهاً ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [٣] .

إن إبليس وذريته يروننا من حيث لا نراهم ﴿ إن يراكم وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ وفى الآية نفى تام لأن يكون لإبليس وقبيلته حديث أو أى معاملة مع الإنسان . . ولذلك ينبغى تفسير العديد من الآيات التى يذكر الله فيها الشياطين إلى شياطين الإنس دون الجن ، فهم أقدر على إغوائنا ووسوستنا من شياطين الجن ، فشيطانك أيها الإنسان النفس والهوى المتبع ، وعدوك من شياطين الإنس الذين يقتدون بإبليس .

---

(١) سورة الناس آية ٥ ، ٦

(٢) النص ؛ ١٣٩ و .

(٣) سورة الجاثية آية ٢٣

إن المجـبـرة تنسب علمـاً خـارقـاً لإبليس والجن ، لا يكون إلا لله تعـالى أو من ارتضى من رسله ، فلا يعلم الغيب إلا الله ولا يطلع على غيبه سوى صفوة رسله الذين خصهم بعلم بعض الغيب ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [١] .. وكل علم ينسبه المجبرة لإبليس هو لله ، تعالى ، دون غيره باطل ، ويدل على جهلهم بالتوحيد الخالص ، إذ كيف يعلم ما يعلمه الله ويتصرف في الملك كربه ، مع أنه ، تعالى ، وصفه بالضعف والصغار والذلة ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [٢] ولكن المجبرة لا يقدرون الله حق قدره ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [٣] .

ثم إنه إذا كان إبليس يلقى فى قلوب بنى آدم مضطراً ، فمن الذى اضطره؟!.. والله يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [٤] وإذا كان فعلاً مضطراً فهو معذور .. ومن يفترى على الله الكذب فيدعى بعد ذلك أن الله اضطره إلى غواية عباده ، فقد كفر بالله وخرج من الدين وأسقط علم التوحيد ..

فقد حذرنا الله من إبليس وغوايته ، ودعاه إلى الهداية فما اهتدى وفضَّلَ العناد والمكابرة على أن يخضع ويستسلم لأمر ربه ؛ وجعل الله كل من يفعل فعله ويعصى عصيانه ويفسق ، كهو ، تماماً لا فرق بينهما .. ثم بعد ذلك تكذب المجبرة على ربها بادعائها أن الله وظف إبليس لإغواء خلقه ووسوستهم ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٥] !

ومن عجائب مقالة المجبرة فى الوسوسة أن لإبليس منقاراً ، يتوصل به إلى قلب الإنسان عن طريق أذنه فيوسوسه !.. وهو كلام سخيف جداً لا يصمد لأى نقد .. فأى منقار هذا الذى له ، وكيف يدخل أذن الآدمى دون أن يحس أو يدرك وجوده ؟!

والنتائج المترتبة على مقالة المجبرة السالفة الذكر تؤدى إلى إبطال المعرفة العقلية حيث أبطل المجبرة الإحساس بالمدارك الحسية ، كذلك الخروج عن حد العقل والدخول فى الخرافة والجهل ؛ وتكذيب النص ومناقضة الإسلام .

---

(١) سورة الجن آية ٢٦ .

(٢) سورة المائدة آية ٧٣ .

(٣) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٤٤

وما سبق ليس بمستغرب عليهم حيث كانت بعض البيئات التى قالت بالجبر، قد ابتدعت القول بالتشبيه من قبل ، وأنكرت الوعد والوعيد ، فأجازوا على الله ، عز وجل ، أن يخلف وعيده وتطرف بعضهم فأجاز أن يخلف وعده أيضاً!..

ويبدو أن الذين أمروا على أن الله لا يخلف وعيده ، أو أوجبوا عليه تحقيق وعيده ، كما قال فى كتابه .. كانوا ينظرون إلى عدله ، تعالى ، والوجوب الذى قصدوه هو الوجوب الأخلاقى لا غير..

ويضاف إلى فضائحهم عقيدتهم فى إبليس هذه التى تناقض التوحيد وتنقضه من أساسه ، حيث جعلوه لله شريكاً ونداً وسوى .

٣- **أما الحجة الثالثة** : فى إبطال زعم المجبرة بأن لإبليس قدرة على الخلائق وبيان ضعفه وعجزه ، هو أن الله ، عز وجل ، لا يفعل الجور ولا الفساد ولا يضل العباد ولايصدهم عن الرشاد ، وقد بين الإمام أحمد أن من تمام عدله ، تعالى ، أن يخاطبنا بما نعرف ونعقل ونفهم : **«ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لانعقله ولانقف على كيفيته ولانهتدى إلى وصفه .. لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل الحسن الفعل الذى لا يجور ولا يظلم»**[1].

فالنفس هى التى توسوس الإنسان ، وليس إبليس ، قال تعالى ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ** ﴾ [2] فنفسه هى التى طوعت له قتل أخيه وليس إبليس ، وكذلك قال تعالى : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [3] .. وفى العقل لا يجوز أن يحذرنا الله النار، ثم يدس علينا إبليس لنقع فيها ، فذلك ليس من صفات الحكيم .

٤- **الحجة الرابعة** : شهادة بعض العصاة المذنبين أنهم قد أتوا ما أتوا من أنفسهم ومن ذلك قول السامرى لموسى ، عليه السلام ، حين سأله عن العجل الذى صنعه من حلى بنى إسرائيل ولمَ زين لهم عبادته من دون الله فقال : ﴿ **كَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي** (٩٦) ﴾ [4] وأنكر أن يكون إبليس هو الذى وسوس له أو دفعه إلى فعله هذا، أوكونه شريكًا له فى صنيعه .

---

(١) النص ١٤٣ و .

(٢) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٣

(٤) سورة طه آية ٩٦

أما قوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ [١] فيخرج على معنيين :-

أحدهما : التهديد والتخويف ، وقد كانت العرب تستخدم هذا الأسلوب فى لغتها .. فيدعون أحدهم أن يقتل فلانًا ، وهم لا يريدون قتله ، وإنما يقصدون تهديده وتخويفه .

والثانى : أنهم إذا فعلوا هذه المعاصى فزنوا وسرقوا وتعاملوا بالربا فهم مشاركون لإبليس فى عصيانه لله تعالى [٢] .

أما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾ [٣] الآية فيخرج على أنه الهوى .. لما يلزم من الظاهر والمعنى الصريح منه بالقول بأنه واجههم ورأوه وعاينوه وهو يناقض القرآن الكريم .

كما يمتنع أن يوسوسهم إبليس فى بدر جميعا فى وقت واحد ، إلا أن ينسب لإبليس قدرة تفوق كل قدرة ، وهو فاسد غير معقول !..

يقول الزمخشرى : واذكر – يا محمد – ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾[٣]. التى عملوها فى معاداة رسول الله ، ﷺ ، ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون ؛ وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ؛ فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم ، أى بطل كيده حين نزلت جنود الله ؛ وكذا عن الحسن رحمه الله : كان ذلك على سبيل الوسوسة ، ولم يتمثل لهم .

وقيل : لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذى بينها وبين بنى كنانة من الحرب، فكان ذلك يثنيهم ، فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك ابن جعشم الشاعر الكنانى – وكان من أشرافهم – فى جند من الشياطين معه راية ، وقال : لا غالب لكم اليوم ، وإنى مجيركم من بنى كنانة .

فلما رأى الملائكة تنزل ، نكص .

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٤ .

(٢) انظركذلك الزمخشرى : الكشاف ، ٢ / ٦٧٧ ، ٦٧٨ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤٨ .

وقيل : كانت يده فى يد **الحارث بن هشام** ، فلما نكص . قال له الحارث : إلى أين أتخذلنا فى هذه الحال ؟

فقال : إنى أرى ما لا ترون ، ودفع فى صدر الحارث وانطلق ، وانهزموا ، فلما بلغوا مكة .

قالوا : هزم الناس سراقة ، فبلغ ذلك سراقة .

فقال : والله ما شعرت بمسيركم ؛ حتى بلغتنى هزيمتكم ، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان .

وفى الحديث : « وما رؤى إبليس يوماً أصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة ، لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤى يوم بدر » [١] .

ولا مانع من ان يوسوس إبليس لنفر قليل من قريش ؛ فيقومون بالوسوسة للقبيلة بأسرها .. أوان يجرى كلاماً على لسان آدمى ، حتى يقنع الناس بمنطقه وألاعيبه فيصدقوه .. وهذا فى الشرع والعقل مقبول .. سيما ان له سابقة مع أبينا آدم – عليه السلام – ولكن ليس بالضرورة أنه يفعل هذا مع كل جنس بنى آدم ، لما فى ذلك من غلو فى شخصيته التى لا تتفق مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [٢] ، إذ إنه على تصورهم لا يكون كذلك .

٥- **الحجة الخامسة** : المجبرة تستعين بكثيرمن النصوص وتروى الأكاذيب عن الجن :

وتستعين المجبرة بكثير من النصوص والروايات الكاذبة ، لتثبيت عقيدتهم فى إبليس والجن ، ويلاحظ فى رواياتهم عن الجن أنهم لا يحدثون عنهم إلا بكلام نطقوا به وأخبار أخبروا بها ، لا وسوسة كما ادعوا أنهم يوسوسنهم فى صدورهم!

وهذه الاحاديث والأشعار التى رووها عن الجن ، تقتضى المواجهة التى تبطل بدورها الوسوسة ..

---

(١) اخرجه مالك فى الموطا .. والبيهقى فى الشعب . وانظر الزمخشرى : الكشاف ٢ / ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء آية ٧٦ .

كما يكذبون على الجن فيدعون ملاقاتهم في مواطن عديدة من الأرض ، أو أنهم يتمثلون لهم في أشكال آدمية او حيوانية [1] ..

وكلامهم في المواجهة والمشافهة يناقض كلامهم في الوسوسة ، مما يسقط كلامهم بعضه بعضاً . ثم من أخبرهم حين تمثلهم في أشكال حيوانية أنهم جن!!

٦- **الحجة السادسة** : نص القرآن الكريم بان شيطان الإنسان وإبليسه ، حقيقة ، هو هواه الذى يدله على الشر والفساد ، ويغويه بالميل إلى الشهوات والملذات ، قال تعالى : ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [2] .. وقال تعالى : ﴿ **وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا** ﴾ [3] ، ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ [4] .

لقد اعتمد المجبرة على المتشابه وتجاهلوا المحكم وأسس العدل والتوحيد، كما جهلوا تاويلها وفهم معانيها ، وقليل من التامل يوضح الحق جلياً [5] .

٧- **الحجة السابعة** : أن معاني القرآن الكريم تساعد على فهم المتشابه على وجهه الصحيح ، وهو من قواعد المنهج عند أهل العدل والتوحيد ، حيث يعتمد تاويل القرآن وتفسيره في ضوء معاني اللغة وبلاغتها ، فالعرب أعرف الناس بلغتهم، والقرآن كتاب عربي صميم .. فمنها ما ياتي على سبيل المثال والتصوير والمجاز ومقلوب الألفاظ والمعاني .. إلخ .

٨- **الحجة الثامنة** : الزعم بمشاركة إبليس للإنسان في الأموال والأولاد يسقط حقيقة العدل الإلهي .. فلا يجوز ذلك في عدل الحكيم ، والله لايامر بالباطل ولا يقضيه [6]، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** (٨٧) ﴾ [7] ، ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** (١٢٢) ﴾ [8] !؟

---

(١) انظر النص ، ١٤٥ و .

(٢) سورة ص آية ٢٦ .

(٣) سورة المائدة آية ٧٧ .

(٤) سورة القصص آية ٥٠ .

(٥) النص ، ١٤٥ و .

(٦) النص ، ١٤٧ ط .

(٧) سورة النساء آية ٨٧ .

(٨) سورة النساء آية ١٢٢ .

٩- **الحجة التاسعة** : نقد زعم المجبرة أن الاستطاعة مع الفعل ، وبيان أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأن الله عز وجل فى عدله وحكمته لا يكلف نفساً إلاما آتاها ، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله . قال تعالى : ﴿ **وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** (٦٢) ﴾ [١] .

١٠- **الحجة العاشرة** : أنه لا يعقل أن يكون الله عز وجل قد وهب لعدوه إبليس قدرة تفوق قدرة أوليائه ومن هؤلاء الملكين الموكلين بكل إنسان ! [٢]

* * *

(١) سورة المؤمنون آية ٦٢ .

(٢) النص ، ١٥١ و

تصور ابن حزم الظاهرى لإبليس والجن

ويُجمل ابن حزم الظاهرى موقفه وموقف أهل الظاهر من الجن فيقول : أخبر ، عز وجل ، أن الجن والناس يوسوسون فى صدور الناس ، ونحن نشاهد الإنسان يرى من له عنده ثأر فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ، ويرى من يحب فيحدث له حال أخرى ويبتهج وينشط ، ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى ، من سفرة ورعشة وضعف نفس ، ويشير إلى إنسان آخر بإشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ، ويخجله أخرى ؛ ويفزعه ثالثة ، ويرضيه رابعة ؛ وكذلك يحيله أيضا بالكلام إلى جميع هذه الأحوال .

فعلمنا أن الله ، عز وجل ، جعل للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها إليه ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ؛ ومن شرار الناس وعلى هذا جريه من ابن آدم مجرى الدم » [1] .

يشير ابن حزم عند تحليل مقالته إلى قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ [2] ورأينا كيف نقد الإمام أحمد الاتجاه الجبرى فى تفكيره ، ووقف على خطوره دعواه ، وفند حججه وبين وجه الحق ، وتأويل معنى الوسوسة فى الآيات السابقة .

كما تعرض ابن حزم إلى الانفعالات الإنسانية فى الرضا والغضب والفرح والحزن ، والأمن والخوف ، والرهبة والجرأة والشجاعة ثم علقها كلها على فعل الشيطان فى قوى الإنسان !! . .

لهذا الحد انساق هذا المفكر الكبير وراء التيار الجبرى . . وأدى مذهبه الظاهرى إلى وقوعه فى خية الجبر . . وصار من المعقول لديه أن يعطى الله أحكم الحاكمين ، العادل فى حكمه المنصف فى قضائه ، عدوه إبليس وجنوده من مردة الشياطين تصريفاً تاماً لجوانيه وداخلية الإنسان ، والتحكم فى مشاعره وقواه وقدراته وميوله ونوازعه ودوافعه . . ! . .

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٥ / ١١٢ .

(٢) سورة الناس الآيات من ٤ - ٦ .

ماذا أقول بعد أن صدمنا ابن حزم بقوله : « فعلمنا أن الله ، عز وجل ، جعل للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس ، والقذف فيها بما يستدعونها إليه »[1] .! وقد كان في زمانه من أكبر الشخصيات الناقدة للفكر الرجعي .. فحارب التقليد .. ونقد الفقهاء الأربعة ونادى بمذهب جديد – هو المذهب الظاهرى – في بلاده ، وأبلى بلاء حسناً ، ولكن لكل جواد كبوة ؛ ولكل عالم ذلة !

ويمكن مراجعة رسالة الإمام أحمد ومنهجه في التفكير .. حتى يتيسر لنا كيف نفهم ديننا ، ونقف عند حدود أصوله واساسياته ، دون الوقوع في نقض التوحيد والشرك بالله .. ولا داعى لتكرار ما سبق الإشارة إليه ..

لقد تجاوز أهل الظاهر عن وضع لغة القرآن في موضعها الصحيح من المنهج ، فأدى بهم مسلكهم إلى الخطأ الفادح في الفهم لقضايا القرآن ، فلغة القرآن تصويرية وبيانية ذات مستوى رفيع في التركيب على أحسن وأفضل ماعرف العرب من لغتهم .

فلما سمع العرب قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [3] لم يعقل منهم أحد أنها على ظاهرها ولكن قال قائلهم .. إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق .. إلخ .. من عظمة ما وجده من علو نظم القرآن الكريم ..

ولم يخطأ من وصف اللغة في القرآن بانها مجازية أى تصويرية تعتمد على الاستعارة والتشبيه والكناية .. وتعتمد على البيان قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ ﴾ [4] وعلى ضرب الأمثال ، والمجاز أنواع ليس هنا محل عرضها ..

ولهذا لم يكن غريباً من ابن حزم أن يفهم من قوله تعالى ﴿ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [5] أن للشيطان تأثيراً في المصروع يكون بالمماسة .. والذى سنشرحه فيما بعد ، ونبين مراد القرآن من ذلك .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الكهف آية ٧٨ .

(١) سورة يوسف آية ٨٣ .

(٣) سورة الرحمن الآيات من ١ – ٤ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٧٥

ويؤخذ على ابن حزم ، على ما وهبه الله من قدرة عالية على التفكير والتحليل والنقد وجرأته فى مواجهة الخصوم ، يؤخذ عليه مصادرته بشكل واضح على من خالفه فيقول فى هذا الموضوع «فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئًا ، ومن زاد على هذا شيئًا فقد قفا ما لا علم له به ، وهوحرام لا يحل ، قال تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [1] . وهذه أمور لا يمكن أن تعرف البتة إلا بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ ، ولا خبر عنه ، عليه السلام ، بغير ما ذكرنا» [2] .

ويصف ابن حزم ما يفعله الشيطان فى المصروع من مَسٍّ فيقول : «إن الشيطان يمسُّ الإنسان الذى يسلطه الله ، عز وجل ، عليه مَسًّا ، كما جاء فى القرآن ، يثير من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ ، كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف ، فيحدث الله ، عز وجل ، له الصرع والتخبط حينئذ ، كما نشاهده ، وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة ، وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزَّامين والكذابين..» [3] .

ويحمل كلام ابن حزم العديد من التناقضات ، فهو يعتمد منهجاً يؤدى به ، لا محالة ، إى الوقوع فى الخطأ ، وهو الأخذ بالظاهر ، وليس فى ظاهر القرآن تسليط الله لأعدائه على أوليائه .. أو منح عدوه الذى أخرجه من الجنة صاغراً ذليلاً حقيراً قدرة على التغلغل فى أعماق النفس الإنسانية والعبث بها ، وليس فى القرآن كذلك نص يفيد أن الله ، تعالى ، خلق الجن لإغواء البشر وتضليلهم ..

انظر إلى قوله : «.. فيحدث الله ، عز وجل ، له الصرع والتخبط حينئذ» ياسبحان الله لقد جعل قدرة الله وفعله تابعة لقدرة إبليس وفعله .. حتى التسوية بين قدرة إبليس وقدرة خالقه تجاوزها ابن حزم ، وجعلها تابعة لإبليس ! .

ثم مَنْ من المصروعين أخبره عندما أفاق أن ما حلَّ به كان فعلاً وكيداً

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٢) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ / ١١٣ .

(٣) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ / ١١٣ .

للشيطان؟!.. إن أدوات الحس والإدراك تنفى تماماً أن يكون الشيطان قد دخل وحل فى جسم المصروع [1] وعطل عقله وتلاعب بكيمياء جسمه ..

ولكن لاغرابة إن كانت هذه ثقافة عصر ابن حزم ، الغريب حقيقة أن نجد مسلماً فى القرن العشرين والحادى والعشرين ، تكون كل معارفه الدينية وثقافته فى تحدى الغرب ومواجهته ، هى مجموعة خرافات مركبة تركيباً معقداً ، بحيث لا ينفك منها المسلمون؟!.. ويظلون قابعين فى ردهات الجهل والتخلف والتصورات الجائرة للتوحيد الإلهى ، وحرية الإنسان وقدرته على الاختيار والفعل ..

ليس من الخير فى شئ بقاء العقلية الإسلامية صريعة الوهم متجاوزة منهج القرآن فى النقد والتفكير والاستدلال والنظر .. وبدعوى أن ما يقوله مهاويس الحشوية وأتباعهم من انصاف المتعلمين ، تعلماً دينياً ، من أن هناك أحاديث وروايات أو آيات تلزمهم بنقض التوحيد ، وجعل إبليس وجنوده شركاء لله ، تعالى ، بما يدعونه من سلطان الشياطين على الإنسان وقدراته وملكاته التى وهبه الله لها ..

لقد وقع تصور المسلمين للتوحيد فى مازق صعب عندما آمنوا بالله الواحد الأحد القادر القاهر الغنى الملك المتكبر القدوس ، وآمنوا مع ذلك بإبليس والجن والشياطين القادرين على التصرف والتحول والوسوسة والإغواء وتغيير المقادير ، حسب ما يحلوا لهم ، أو على أسوأ الأمور حسب ما أمكنهم الله منه .. **فمن هذا اللعين الذى أدخل فى روع المسلمين أن الله أمكن الشيطان من إغواء الإنسان ، بعدما هداه إليه بحوله وقوته !**

* * *

---

(١) انظركذلك الاشعرى : المقالات ٢١ / ١٠٩ .. لقد كان لعلماء المسلمين القدماء موقفاً من صرع إبليس للإنسان مشرفاً .. فليراجع .. وإن حكى الأشعرى مذهب المجبرة فيمن ذكرهم .

الفصل السادس

حول الرسالة

١- ترجمة المؤلف ومصنفاته .

٢- وصف المخطوط .

٣- منهجي في التحقيق .

٤- نماذج من المخطوط .

١- ترجمة المؤلف ومصنفاته

هو الإمام أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسنى العلوى ؛ الناصر لدين الله؛ إمام زيدى يمانى مشهور .. ومن كبار علمائهم وبسلائهم .. عرف بالجهاد ونصرة دين الله ؛ ولد سنة ٢٧٥هـ ولا يعرف أين ولد .. وربما كان ذلك بجبال الرس قبل أن يخرج والده **الإمام يحيى بن الحسين** ت ٢٩٨هـ مجاهداً وفاتحاً لليمن وإقامته لدولة الزيدية بصنعاء .. وذلك لأن الرس وما حولها ارتضاها جده **الإمام القاسم بن إسماعيل الرسى** موطناً له ، لما حطت به عصا الترحال ، بعد جهاد كبير للدولة العباسية عرف فيه طعم الغربة وعذابها لمدة عشر سنوات كاملة .

عرف الإمام أحمد الحفيد بما عرف به أجداده وأباؤه من آل البيت الاطهار ، من تقوى الله وورع وحب للدين والعلم ، والجهاد فى سبيل الله ، واشتهر من بينهم بأنه ترجمان الدين ، وذلك لغزارة علمه ونباهته ؛ وتولى الإمام أحمد الإمامة باليمن بعد أن قدم عليها فى بداية القرن الرابع الهجرى واعتزال أخيه لها - محمد المرتضى - طواعية وعرفاناً بمقدرة أخيه على القيادة وإدارة أمور الحكم ، سياسياً وعسكرياً .. وغير ذلك .

وما لبث الإمام أحمد إلا أن جهز جيشاً كبيراً قوامه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل لمواجهة دولة الباطنية الكافرة .. وتوجه به نحو الغرب ، فانتصر عليهم انتصاراً باهراً ، ودخل عاصمتهم عدن .. ونكل بالقرامطة .. وظل وضع الدولة قوياً ومزدهراً فى عهده حتى توفى بصعدة سنة ٣٢٥ / ٩٣٧م .

قال عنه **ابن الوزير** فى كتابه «**هداية الراغبين**» : «كان من الأئمة السابقين وعيونهم المعتبرين وسادتهم المطهرين ، وكان عالماً فاضلاً ورعا وزاهداً ؛ جامعاً لشرائط الإمامة ، كاملاً فى صفات الزعامة ، سالكاً منهج آبائه الأئمة الأطهار ، فى أحواله الخاصة والعامة» .

كما قال الفقيه حميد فى وصفه فى كتابه «**الحدائق الوردية**» : «نشأ على الزهادة والعبادة، واقتبس من نور والده الوقاد ؛ وارتوى من علم الآباء والأجداد ؛ فأحرز من علمهم الصافى الكثير ، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير» .

وقد أشارت كتب الطبقات إلى تصانيفه العلمية ، بما فيها كتابه النجاة الذى شمل على ثلاث رسائل منها رسالتنا - هذه - التى قمنا بتحقيقتها .. فقالوا فى وصف كتبه : «له ، عليه السلام ، التصانيف الرائعة الشافية .. والكتب البالغة الوافية ، فى الأصول والفروع والمعقول والمسموع» .. ثم ذكروا كتبه على النحو التالى :

١- **كتاب النجاة** الفريد المتميز بقولهم : وفيه علم عجيب وكلام حسن غريب .. وهومجلد كبير يحتوى على عدة رسائل ، منها مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس. ». وسيصدر قريباً بتحقيقنا بإذن الله .. بعد أن أمضينا فى تحقيقه ودراسته عامين كاملين.

٢- كتاب الدامغ .

٣- كتاب التوحيد .

٤- كتاب الفقه .

٥- كتاب التنبيه .

٦- كتاب مسائل الطبريين .

٧- كتاب الرد على الإباضية . حققناه وسيصدر قريباً ، إن شاء الله .

كما أن له كتاباً فى علوم القرآن تشهد له بالإصابة والتبريز منهاكتابه المشهور

٨- كتاب المفرد فى الفقه .

وقد ذكره الإمام حميد ..

ومن عجائب هذا الإمام العظيم المجاهد فى العلم والعمل .. أنه كان يخرج لغزواته ومعه كتبه وأدوات الكتابة من حبر وورق .. فيؤلف المسائل الصعبة والكتب الطوال وهو على ظهور الخيل .. وهو أمر لم نجد لأحد من السلف أوالخلف - له مثيل - على السواء !!

الكتب التى ترجمت للإمام أحمد :

١- **هداية الراغبين** : لابن الوزير لوحة ١١٣ و - حتى ١١٥ و

وهو مصور بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم تحت رقم ٢٧٤٤ .

٢- **حميد المحلي** : الحدائق الوردية جـ٢ ورقة ١١١ - ١١٢

وهو مصور بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم تحت رقم ٢١٣٦ .

٣- **عبد الله بن حمزة** : الشافي جـ١ ورقة ١٦٦

وهومصور بدار الكتب المصرية ميكروفيلم تحت رقم ٢٣٤ .

٤- **أحمد القرشي** : **بلوغ المرام** ؛ ص ٣٣ طبع بمصر ١٩٣٩ .

٥- اتحاف المسترشدين ، ص ٤٥ .

٦- **الجنداري** : **تراجم** الرجال جـ٦ .

٧- **الزركلي** : **الأعلام** ؛ ١ / ٢٦٨ .

٨- **كحالة** : **معجم المؤلفين** ١ / ٣٢٣ .

* * *

٢- فى وصف المخطوط

١- هذا المخطوط يمثل جزء هاماً من تراثنا الفكرى الإسلامى الناضج والحر ، والذى جاء فى فترة مبكرة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية .. فقد كتبه الإمام أحمد والفه إجابة على أسئلة بعض اتباعه ، ورداً على المجبرة الذين روجوا للجبر فى القضاء والقدر ، وذلك من خلال قصص القصاص والإسرائليات والخرافات والأساطير الموروثة عن الشعوب والأدب العالمى ، بكل ماتحمله من تأثيرات عقائدية فى الديانات المختلفة ، وخصوصاً الديانات الشرقية كالثنوية والمانوية والبوذية والمجوسية .

بالإضافة إلى تصور إبليس فى الديانات السماوية كاليهودية بماتحمله من تصور مادى وسطحى لحقيقة الألوهية والنصرانية وهى عقيدة حلولية .. ودور إبليس فى عقيدة التثليث هام وبارز ، وعليه عولوا فى سبب نزول ابن الله ، على ما يزعمون ويفترون - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ؛ لفداء العالم !

٢- تُمثل نهايات القرن الهجرى الثالث فترة ازدهار فكرى وأدبى واجتماعى .. ولم يمنع هذا من ظهور الدولة الطولونية بمصر ثم الإخشيدية ، وانفصال اليمن وقيام الدولة الزيدية به سنة ٢٩٦ هـ ، وكذلك انفصال الأندلس من قبل بنحو مائة وخمسين عاماً .

٣- القصد من ذلك أن العباسيين فى بغداد جمعوا من حولهم كل الاتجاهات والتيارات المذهبية .. وتحولوا بعد عصرالمامون والمعتصم عن التوجهات الفكرية الناضجة إلى التقليدية ، وحارب المتوكل الاتجاهات الحرة فى الفكر ، حتى يتيسر له حكم الدولة دون منازعات أو ثورات على الأوضاع السيئة ، وتقدم المحدثون والقصاص صفوف العلماء مما كان له أسوأ الأثر فى تاريخنا كله .. وراج الفكر الجبرى والتواكل ، وتأخر على إثر ذلك العلم الطبيعى .. وشاعت طوائف الزهاد والعباد والصوفية ، وتلاشت النهضة العلمية التى قدر لها أن تظل متوارية وباهتة .. **فورثت أوربا مناهج العلم والفكر الحر فى أواخر القرون الوسطى** ، وبنت عليها أسس نهضتها فى بداية العصر الحديث .

٤- ما يعرضه الإمام احمد فى هذه الرسالة تلقفته أيدى فلاسفة أوربا فى عصر النهضة وأولوه كل عنايتهم .. ومن ينظر مقارناً يلاحظ لأول وهلة ويجد أن فكر المسلمين الأوائل الحر ، والذى يقوم على الكتاب والسنة المتواترة ومنهج العقل، بعيداً عن الغموض الفلسفى من جهة ، والانحراف الأسطورى والخرافة من جهة اخرى ، هو أساس البناء المنهجى الذى قام به زعماء الفكر الغربى بداية من المنهج **الديكارتى** والتجريبية عند **كوبرنيكس وكانت** ، والمنهج الاستقرائى والبراجماتية عند **جون لوك وجون ستيوارت مل** .. ثم ظهور نظرية العقد الاجتماعى والعدالة الاجتماعية ، وإرساء قواعد الدستور والديمقراطية والنظم التعددية .. كل ذلك خرج من عباءة الفكر الإسلامى الناضج فى البدايات ..

٥- ولذلك نقول إن هذه الرسالة ، ومثيلاتها من فكر الإمام احمد بن يحيى وكتب ابيه يحيى بن الحسين ت ٢٩٨هـ ، وجده القاسم بن إسماعيل الرسى ت ٢٤٦هـ ، هو من أفضل ما قدم وكتب المسلمون فى القرن الثالث الهجرى حول التوحيد والعدل.. وإرساء قواعد المنهج وأسس الحرية الإنسانية وحرية الفعل الإنسانى بمنهجية ناضجة وواضحة .

٦- جاءت هذه الرسالة فى مجموع الإمام احمد بن يحيى .. والذى سنصدره محققاً تباعاً ، إن شاء الله ..

وعنوانهـــا :

أ - (مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين) .

ب- وصفحاتها تقع بين ١٣٤ و- ١٥١ ط .

جـ- والنسخة التى بين أيدينا نسخة فريدة ومتميزة فى نوعها .. فقد كتبت بخط نسخى جيد سنة ٥٤٨هـ ، وعلى حواشيها بعض الشروح .. غير أن ذلك وقع فى هوامش رسالة النجاة .. وسلمت من شروح النسّاخ والمعلقين من القراء عليها .

د - جاء على هامش هذا المجموع وبداخله ، كثير من التملكات والتوقيعات ، التى تبين مسيرة انتقال هذه النسخة بين ائمة الزيدية وكبار علمائها ..

هـ- توجد عدة أسباب لوجود هذه النسخة وحيدة فى مكتبتنا العربية ، من ذلك حرص الزيدية على تراثها من جهة ، وعامل الزمن وكيد الخصوم لهذا التراث . . أما لمَ لم تحقق وتخرج للنور ، رغم أهميتها البالغة ، فهو لزهد كثير من الدارسين فى التراث الفكرى ولصعوبته ، سواء من حيث التحقيق أو من حيث الدراسة . . وكذلك لظنهم أن النسخة قديمة ، وقد تعرضت لعوامل الزمن التى غيرت من معالمها . . غير أن هذا التغيير لم يؤثر على الكلام بحال . . ولكنه يخدع الناظرين إليها .

ز- ومسطرتها : ثنتان وعشرون سطراً (٢٢) .

ح- ومقاسها : ٢٠ × ٢٧سم .

ط- النسخة التى قمنا بتحقيقها مصورة عن النسخة اليمنية الموجودة بمكتبة الجامع الكبيرة بصنعاء تحت رقم ١٤١ علم الكلام - كتاب ٣٨ . .

وقد قامت بعثة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المختصة بالمخطوطات العربية، والتابعة لجامعة الدول العربية بتصويرها فى الثلاثاء ٢٤ من رجب ١٣٩٤هـ الموافق ١٣ من اغسطس ١٩٧٤ وإيداعها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت رقم ١٥٧ يمن شمالى . . ومنها صورنا نسختنا .

* * *

٣- منهجى فى التحقيق

١- قمت بمراجعة المخطوط مرات عديدة ، للتأكد من سلامته من النقص وعوامل التعرية.. ثم قمت بتصويره .

٢- تحققت من نسبة المخطوط لصاحبه ، بمراجعة كتب الفهارس وقائمة كتب الزيدية وكذلك قائمة كتب الإمام أحمد .

٣- نسخت المخطوط وقومته إملائياً .

٤- وضعت للقضايا عناوين ، وللمسائل عناوين داخلية ، وقسمته إلى فصول .. حتى يتيسر الانتفاع به .. كما نسبت الآراء والأفكار والمذاهب إلى أصحابها فى كتبهم الأصلية .

٥- خرجت الآيات والأحاديث التى وردت بالرسالة ، ووضعت له فهرساً عاماً .

٧- ترجمت للشخصيات ، وعلقت على القضايا والمصطلحات .

٨- كما قدمت للمخطوط بدراسة عن « إبليس فى التصور الإسلامى بين الحقيقة والوهم » .. ووضعت مقدمة له ، وترجمت للمؤلف . ومصنفاته .

هذا وأسأل الله العلى القدير ،

أن ينفع به ، وهو ولى التوفيق ،

القاهرة فى ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٠م

٤- نماذج من المخطوط

تقليد الرجال بلا حجة ولا بصيرة ولا شاهد من كتاب الله عز وجل الا ما تعلقت به من
متشابه القرآن الذي جهلت تأويله فقد علمت ما ورد عليك في كتابنا هذا من الشرح لمحكم
والاستشهاد بالقرآن عليك والحجة الواضحة التي لا مخرج لخصومها انها الحجة ان شاء الله وقد قال الله
تبارك وتعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ٥ فقال قوم ان الراسخين في العلم لا يعلمون
تأويل الكتاب جهلا منهم وبلا علم من الله ان الراسخين يعلمون تأويل الكتاب وما يحتاج اليه الامة
من امر دينها الذي تعبدها الله عز وجل به ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ في العلم لان من لم يعلم تأويل
القرآن لا يجب له اسم الرسوخ في العلم والفقه فالراسخ الذي يعلم تأويل القرآن فاولئك هم ائمة الهدى
من اهل بيت النبوة عليهم السلام ٥ والراسخون في العلم هم اهل التنزيل والتأويل ولو لم يكن عندهم
علم الخطاب لما جاز ان يقول الله عز ثناؤه فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٥ والذكر فهو محمد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم دليل ذلك قول الله عز وجل قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات
الله مبينات ٥ فصار الذكر هو الرسول وهذا ما لا دفع فيه فصار اهل البيت عليهم السلام هم المأمور
الخلق بسؤالهم ولم يكلفوا ان يسألوا عبد العزيز بن يزيد البغدادي ولا عبد الرحمن بن خليل ولا عبد الكريم بن
نعيم ولا مسلم بن خريمة ولا عبد الصمد ولا المعلم ولا عبدة بن عامر ولا ابا مروح السدوسي
ولا فلانا ولا فلانا الا ان يدعي عبد الله بن يزيد البغدادي وهاوي الكفر الذين سميناهم ان جبريل صلوات الله عليه
كان يهبط على جدهم وفي بيوتهم فيرد جواب التنزيل والتأويل وعلم علم الرسول وتابعهم جبريل
نبيهم من الله عز وجل قال لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا
فان صح ذلك فهم اولى واحق بها وان لم يصح فغيرهم اولى بالمقام واحق بالارث عليهم السلام والسلام
بالاحكام مبينه فهذا جواب ابي عبد الله بن يزيد البغدادي على مسائله والحمد لله
قال الامام الناصر لدين الله [illegible]

ومن وصل اليه هذا الكتاب فلم يوجد للناس وبغية المسلمين فهو في اعظم الحرج حتى يكون
الله جل ثناؤه هو المطالب له يوم القيمة بما كتم من الحق ٥ قال الله عز وجل ومن اظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما يعملون ٥ والله عز وجل حسيب من ظلم وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون ٥ وصلى الله على سيد المؤمنين وامام المسلمين وعلم المهتدين وخيرة رب
العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الامين الصادق على الله جل ثناؤه والمصطفى بكتابه والتابع
لامره حتى مضى صابرا محتسبا ماضيا صلوات الله عليه وبركاته ورحمته عليه وعلى آله
الطيبين الاخيار الصادقين الابرار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثم تم الكتاب

يتلوه مسائل الطبرية عن

[illegible] باب

وسوسة ابليس وسائر الشياطين مما اجاب عليه الامام الناصر لدين الله احمد بن
يحيى بن الهادي الى الحق [illegible] المؤمنين [illegible] صلوات الله عليه [illegible] وعلى آبائه [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين
وعلى آله الطيبين قد فهمنا اكرمك الله ما ذكرت عن القوم الذين جرى بينهم الكلام والمناظرة
في وسواس الجن وابليس عليه لعنة الله كيف يصل الى الانسان وكيف الامر منه لنا والعلة التي قال
الله عز وجل انه يعد بني آدم الفقر ويامرهم بالفحشاء وزعم ان قوما قالوا ان ابليس يلقي في قلوب
الناس امرا وعدة وسؤالهم وهم زعموا انهم لا يدرون كيفيته وصول ذلك الى قلوبهم واحتجوا
فيما قالوا بقول الله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء ثم قال عز وجل
حكاية عنه اذ قال ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ثم قال الشيطان
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين ثم قال
سوّل لهم واملى لهم ثم قال المشير اللعين رب بما اغويتني لاقعدن لهم الصراط المستقيم

ثانياً

(النـــص)

١٣٤ و

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آلـه الطيبين ؛

قد فهمنا - أكرمك الله - ما ذكرت عن القوم الذين جرى بينهم الكلام والمناظرة في وسواس الجن وإبليس ، عليه لعنةُ الله ؛ كيف يصل إلى الإنسان وكيفَ الأمر منه لنا، والعداوةُ التي قال الله ؛ عز وجل ، أنه يعد بني آدم ويأمرهُمْ بالفحشاء [١] .

حكاية موقف الناس من إبليس :

وذكرتَ أن قوماً قالوا : إن إبليس يلقى في قلوب الإنس أمراً وعدةً ، وسوَّل لهم ، وهو - زعموا - شئ لا يدرون كيفيَّةَ وصول ذلك إلى قلوب الخلق ؛ واحتجوا بكتاب الله ، عز وجل ، فقالوا : قال الله عز وجل : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾[٢] .

ثم قال ، عز وجل ، يحكى عنه - إذ قال : ﴿ **لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ** ﴾ [٣] ..!

ثم قال : ﴿ **الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥)** ﴾ [٤] !

ثم قال إبليس - اللعين : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)** ﴾[٥] .

١٣٤ط/ ثم قال : ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)** ﴾ [٦] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠)** ﴾ النساء / ١٢٠ - وقوله ، تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾ البقرة / ٢٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ النور / ٢١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٣) سورة النساء آية ١١٩ .

(٤) سورة محمد آية ٢٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٦ .. وجاءت في الأصل خطأ هكذا ﴿ رب بما أغويتني ... ﴾ .

(٦) سورة الحشر آية ١٦ .

قالوا : فقد نراه ها هنا يأمر ويعدُ ويوسوس بالقول ، وذلك أنه يصلَ – زعموا – إلى قلوبهم منه شئٌ ؛ ويلقى إليهم ، ولا يدرون – زعموا – كيفية وصوله إليهم ؟!!

وذلك أن الله ، عز وجل ؛ قال : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] وأنه – زعموا – : يجرى من الإنسان مجرى الدم [2] !

* **ثم قال آخرون** : صدق الله فى كتابه ، وهو كما قال الله ، عز وجل ؛ غير أن تأويل الآيات خلاف ماتأولتم ، فمن ثمَّ غلطتم ؛ إن إبليس ومن معه لا يقدرون على أن يلقوا فى قلوبنا شيئاً ، كما يلقى الشئُ فى الشئ ، ولا يصلُ إلى قلوبنا منه شئ ؛ ولا يأمرنا بشئ ، لا مشافهةً ولا خفاءً ولا سراً ولا علانيةً ؛ ولم يصل إلينا منهم شئ قط ؛ ولم نسمع بذلك منهم فى حالة ما .

وإنما وصلتنا الحكاية التى حكى [3] الله ، عز وجل ؛ فى كتابه على لسان نبيه، ﷺ ؛ فأبطلت لنا الحكاية من الله ، عز وجل ؛ وأخبرتنا أن إبليس ، ومن أطاعه من الجن يريدون منا إتيان المعاصى وارتكاب الفواحش؛ وأن ذلك إرادتهم منا ، وأنه يرضيهم عنا إتيان ذلك ؛ بحكاية الله ، عز وجل ، لنا ذلك فى كتابه أن ذلك من مرادهم ، فالحكاية الواصلةُ بنا الأمر منهم لنا ، كأمر الرجل لابنه ولغلامه : إفعل كذا وكذا [4] ..!

وبعد ؛ فأخبرنا عن الله ، عز وجل ، أَقَدَرَ على أن يوصِّل الأمرَ بالطاعة إلى قلوبنا، من غير سفير ولامعبِّر ولا حكاية ؟!

فإن قالوا : إبليس أقدر على ذلك من الله.. كفروا وخرجوا من ملة الإسلام .

وإن قالوا : الله أقدر على ذلك .

* * *

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى أكثر من موضع منها (كتاب الأحكام باب ٢١) ١٣ / ١٦٨ «عن على بن حسين أن النبى ﷺ أتته صفية بنت حي ، فلما رجعت انطلق معها ، فمرَّ به رجلان من الأنصار ، فدعاهما ، فقال : إنما هى صفية . قالا : سبحان الله !..قال : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» ، ورواه الدارمى ؛ ٢ / ٤١١ «كتاب الرقائق» باب «٦٦» ، وأحمد فى مسنده ؛ ٣ / ١٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩ – ٦ / ٣٣٧ .

(٣) فى الأصل : حكا .

(٤) فى الأصل : كذى وكذى .

قصة الغلام الوحيد على الجزيرة :

قلنا لهم : فى رجل وامرأته ، كانا فى المركب ، ثم باق [1] بهم المركب ؛ فخرجا إلى جزيرة ، فكان الرجل من مرته [2] ؛ فحملت غلاماً ، ثم بلغ الغلام ثلاث سنين ؛ ثم ماتا وتركاه [*] ، أيصلُ إلى قلبه الأمرُ بالصلاة والصيام وجميع الفرائض بلامخبر له ولا معبر؟!

ونحن ، فلم ندر ما الكتاب ولا الإيمان حتى [3] أوحى الله ، عز وجل ، إلى رسوله، صلوات الله عليه وعلى الأخيار من ذريّته ، فبلّغ إلينا ما أمره الله ، عز وجل ؛ به من طاعته وفرائضه ؛ ونهانا عن معاصيه ؛ فإن فعلنا المعاصى كنا قد فعلنا كفعل الشيطان؛ وكنا مطيعين له ؛ لأنّ ذلك إرادته وأمره ؛ وكذلك إذا فعلنا ما أمر الله ، عز وجل ، كنا قد أطعناه وفعلنا ما أراد منا . . !

* * *

* **وقال آخرون** : إنه ماكان من مشروب وملبوس ومنكوحٍ ، فهو من فعل النفس ، وما كان من قتل وعقوق الوالدين فهو من إبليس .

١٣٥و/ وقد أكذبهم الله ؛ عز وجل ، حيث قال : ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] .

وقال فى ذكرموسى ، ﷺ : ﴿ **فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾ [5] ، فقال : ﴿ **هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ﴾ [5] ، يعنى كعمله .

تمت مسائل أبى إسحق ، أكرمه الله

---

(١) عطب وفسد .

(٢) كناية عن الجماع .

* هذه القصة مشهورة فى تاريخنا الفلسفى ،حيث تناولها ابن سينا وابن طفيل والسهروردى المقتول وابن النفيس ، وعرفت بقصة «حى بن يقظان» . وهى ذات طابع فلسفى ملخصه : هل يمكن أن يصل الإنسان إلى المعرفة بنفسه ، وهل يمكنه إدراك معرفة الله وتوحيده بلا وحى ولا رسالة ؟!..

(٣) فى الأصل : حتا .

(٤) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٥) سورة القصص : آية ١٥ .

لا يؤخذ الدين بالظن :

الجـــواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه :

اعلم – أكرمك الله – أن هذه المخاطبة قد كثر فيها اختلاف الناس وقولهم ، وذهب كل منهم إلى مذهب ، على قدر عقله وظنه وخرصه ، والدين لا يكون بالظنّ ولا بالخرص ، وقد ذمَّ الله ، عز وجل ، قوماً في كتابه إذ أخبر أنهم على الخطأ والجهل ؛ فقال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦) ﴾ [١] ، وقال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) ﴾ [٢] وقال آخرون : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) ﴾ [٣] ، ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) ﴾ [٤] .

* * *

ينبغى الرجوع للكتاب والسنة :

وذلك – أكرمك الله – أن الخلق تركوا معدن الهدى ، واتبعوا الهوى ؛ فخالفهم الردى [٥] ودانوا بالخطأ ، ومالوا إلى الدنيا وتقليد الرؤساء ؛ وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [٦] ، وهذا قول الله ، عز وجل ، الذى لا يشوبه فساد ولا طعن أهل العناد ، وقد أخبر الله ، عز وجل ، أنه لو رُدَّ إلى حيث أراد وافترض لعُلمَ ؛ ولم تقع خُلفَة ولا مراء ولا جهل ولا خطأ .

واعلم – أكرمك الله – أن القوم الذين ذكرت عنهم الكلام فى أول كتابك ؛ الذين اعتقدوا أن إبليس ، عليه لعنة الله ؛ يقدرُ على أن يلقى ويوصل العدة والأمر بالفحشاء إلى قلوب بنى آدم ، فقد أخطؤا وغلطوا وضلوا عن سواء السبيل ، وأن القوم الذين ردوا عليهم و عابوا جهلهم ، أهل الصواب والرشد .

وقد فهمت ما احتجوا به ، وقد أحسنوا ، إلا أنهم لم يشبعوا المسائل ، ولم يقووا الاحتجاج ، حتى يشتفى السامع ويُقطع المخالف .

* * *

---

(١) سورة الأنعام : آية ١١ٶ .

(٢) سورة النجم آية ٢٣ .

(٣) سورة الجاثية آية ٣٢

(٤) سورة النجم آية ٢٨ .

(٥) فى الأصل : الردا

(٦) سورة النساء آية ٨٣ .

قواعد ينبغى تقريرها :

واعلم - أكرمك الله - أن كل قول يعتقده قوم إذا انكسر بعضه وبان كسره ، وجب أن آخره ينكسر ، كما انكسر أوَّلُهُ ؛ لأنه لا يجوز أن يكون لله ، عز وجل ، حق فيه باطل ، ولا باطل فيه حق ؛ ولايجوز أن يكون الحق ينكسر بعضُه ويثبتُ بعضه ؛ وقد يجرى أن يرد عليك على ما شك فيه الجهال ، من الآيات التى ذكرت فيها إبليس، فى غير موضع من القرآن .

* * *

التأويل حسب معانى العربية وتصريفها :

فإذا صح كسرنا لذلك ؛ لزم أنَّ آخره على مجرى أوله ؛ وإلا طال الكتاب وملَّه ١٣٥ط/ القارئُ والمستمعُ ؛ وما أجزأ قليلهُ ، وبان القطع لمن خالف فى أوَّل مسألة منه، لزم أنَّ آخره كأوَّله من المعنى ، والتأويل فى اللغة على مثل ما أنا مُفسِّرُه لك إن - شاء الله .

* * *

أثر الهوى فى هلاك الإنسان :

فافهم جوابى ، وقف على معانيه - أرشدك الله ووفقك - واعلم أن عامة الآيات ، التى اعتلوا بها ، تخرج على الهوى - وهو القائل [1] للإنسان لكل خطأ وردى [2] وبلاء وظلم ، ولذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [3] .

فأخبرنا ، عز وجل ؛ أن الهوى هو الذى يُوقع فى المهالك ؛ ولم تصح دعوى [4] من ادعى الوسوسة إلا بالمكابرة ، ومالا يصح بحجة .

وقال (عز وجل) [5] : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [6] .

---

(١) أى الذى يدعو ويجمل الإنسان ، وهو من ، قَوَّلَ - أو قيل .

(٢) فى الأصل : ردا .

(٣) سورة النازعات آية ٤٠ .

(٤) فى الأصل : دعوا .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) سورة ص آية ٢٦ .

ومما كان ينبغي للقوم الرادين على أهل الخطأ أن يقولوا لهم ، في صفة الغلام المولود في الجزيرة ، الذي لم يرَ [١] أحداً قط ، ولم يصل إليه أمرٌ بطاعةٍ ولا معصية ، ولا معرفة خير ولا معرفة شرٍ .

أخبرونا : هل يقدر إبليس يغويه ويضله ، أم لا يقدر (على) [٢] ذلك ؟ .

فإن قالوا : إنه لا يقدر على أن يضله . لزمهم لنا عجز إبليس وضعفه ، وأنه لا يقدر أن يغوى أحداً من الخلق ولايضله ، ورجعوا عن قولهم ودعواهم في إبليس أنه قادر على إضلال الخلق وإغوائهم .

وإن قالوا : إنه قادر على إضلال ذلك الغلام وإغوائه .

قلنا لهم : فأخبرونا عن إبليس مخيرٌ في ذلك الفعل أم مجبرٌ عليه جبراً ؟!

فإن قالوا : إنه مجبورٌ عليه . لزمهم أن الله ، عز وجل ، البرئ من قولهم ، أنه أجبَر إبليس على إضلال ذلك الغلام ؛ وقد أخبرنا في كتابه أنه لم يخلق إبليس إلا لطاعته لا لمعصيته ؛ إذ قال ، عز وجل ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [٣] .

* * *

يرسل الله الرسل لإقامة الحجة :

فكيف انتقض قوله ، وجبر إبليس على إضلال ذلك الغلام ، من قبل أن يبدأه بالخير ، ومن قبل أن يلزمه الله ، عز وجل ، حجة ، إذ قال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [٥] !

فتراه قد عذَّب هذا الغلام لإضلال إبليس له من قبل أن يبعث إليه رسولاً ، ومن قبل أن يلزمه حجة واضحة ، وتراه قد بدأ بالشر قبل الخير ، وبالنقمة قبل النعمة ، وبالضلال قبل الهدى ؛ وبالسوء [٦] قبل الإحسان ؟!..

وليس هكذا [٧] وصف نفسه ، عز وجل ؛ إذ قال : ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [٨] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [٩] .

---

(١) في الأصل : يرى .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٤) سورة النساء آية ١٦٥ .

(٥) سورة الإسراء آية ١٥ .

(٦) في الأصل : بالسواية .

(٧) في الأصل : هكذى .

(٨) سورة البقرة آية ٢٠٧ .

(٩) سورة البقرة آية ١٨٥

فـاى عسـرٍ أعظم ، وأى بلاء أكبرمن أنه أقدر إبليس على ذلك الغلام الذى فى ١٣٦و/ الجزيرة بلا ذنب ولا جرمٍ ، فاضله واغواه عن غير استحقاق !!

* * *

خلق الله إبليس لطاعته .. وهـو من الجن:

وقد خلق الله إبليس أيضاً للطاعة ولم يخلقه للمعصية ، إذ قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] ، وإبليس فهو من الجن ، يصدق ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [2] .

فتراه يخبرنا عن فسقه عن أمره باختياره ، ويلومنا عن اتخاذنا له أولياء ولذريته ، وذلك الاتخاذ هو اتباعنا لهم على معاصيهم ، وفعلنا للظلم كفعلهم .

* * *

عودة إلى قصة «حى بن يقظان»:

رجع الكلام إلى إضلال إبليس للغلام الذى فى الجزيرة .

فنقول لهم : أخبرونا حيث خلق الله إبليس للطاعة ، أليس عليه الطاعة لله ، عز وجل ؛ فريضةً ؟!

فإذا قالوا : بلى ، قلنا لهم : فاخبرونا عن إضلاله للغلام أهو طاعة لله ، عز وجل ، أو معصية ؟!

فإن قالوا : هو طاعة لله ، عز وجل . لزمهم - صُغَرةً أقمياء - أن إبليس مطيع لله ، عز وجل ، فى إضلال الخلق ، وأنه يوم القيامة ؛ (على طاعة) [3] لا على معصية ؛ وفى هذا نقض القرآن ، والكفر بالرحمن والخروج من الإيمان .

وإن قالوا : إن إضلال إبليس للغلام هومعصية لله ، عز وجل . لزمهم أنه قد ترك ما خُلق له واتبع هواه ، وخالف خالقه ووجب عذابه بمعصيته ، وقالوا بالعدل .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٢) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

ثم نقول لهم : أخبرونا أليس قد قال الله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [١] ؟

فإذا قالوا : بلى [٢] .

قلنا لهم : فأخبرونا عن ذلك الغلام الذى فى الجزيرة ، كيف يغويه إبليس ، وكيف يضله ، وكيف يضل غيره من جميع الخلق - على أنه ما لزم فى واحدٍ لزم فى جميع الخلق ، إذ القصة واحدة ؟ .

فلابد لهم أن يقولوا : إنه يبدوا لهم . فيردون على القرآن ، ويضلهم على وجه من الوجوه .

فإن ادعوا أمراً لا تقبله العقول ، ولاتقوم لهم به حجةٌ سقط قولهم ؛ إلا أن يدعوا أنه يقدر على الخلق ، كقدرة الله ، عز وجل ؛ على خلقه ..! (فيوجبوا) [٣] خالقاً آخر قادراً قوياً مع الله !.. فيلزمهم الشرك والخروج من فيه الإسلام كافةً ، لابد لهم من ذلك ، أو الرجوع عن الجهل .

فإن قالوا : إن الله ، عز وجل ، أقدره على ذلك ، وجعل له إليه السبيل .

* * *

هل أقدر الله عدوه على ما لم يعطه لأوليائه :

لزمهم أن الله ، عز وجل ؛ جعل لعدوه ، المخالف لأمره والعاصى له ، من القوة والمقدرة والسلطان ، ما لم يجعل لأوليائه ذلك ، وأهل طاعته من الأنبياء والمرسلين ؛ وأنه قد وَصَّلَ عدوّه وأمكنه من المنزلة الشريفة والمرتبة الرفيعة ، التى نال بها أولياء الله ، عز وجل ؛ رسُلَه ، عليهم السلام ، وبلغ بها مكروههم ، وأحرق بها قلوبهم ، على قود قولهم !

فكان له من الخطر العظيم والعطية النفسية والعلو والدرجة الكريمة / والقدرة ١٣٦ط / القاهرة ما علا به على الخلق المطيع منهم والعاصى ؛ وبان بذلك الفضل على

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) فى الأصل : بلا .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

الأنبياء والمؤمنين إذ معه من عطية الله ، عز وجل ؛ وموهبته وخصوصه ما ليس مع الأنبياء الله ، عز وجل ؛ ولا مع أوليائه ! .

فأى عظيمة أجلُ من هذه العظيمة !.. وأى كبيرة أكبرمن هذه الكبيرة (التى)[1] نسبتموها إلى الله ، عز وجل ؛ أنه خصَّ بها إبليس ، ولم يُعطها رسله ولا أولياءه ولا من يسعى فى طاعته ، وأعطاها من كفر به وأشرك واستكبر ، وقال : ﴿ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) ﴾[2] !

فهذا استأهل ، عندكم ، أن يجعل له المقدرة القاهرة والسلطان العظيم على خلقه الضُعَفاء المساكين ، الذين افترض عليهم أن يحذروا عمله ولا يتبعوا معاصيه ولا يقفوا آثاره ولا يفعلوا كفعله !.. سبحان الله العظيم عما قال المبطلون ، وعلا علواً كبيراً .

* * *

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) سورة الحجر آية ٣٣ .. وجاءت فى الأصل ﴿ .. خلقته من طين ﴾ وهو خطأ بيِّن

الحجة الأولى

فى إبطال قدرة إبليس على الإغواء

ومن الحجة فى إبطال قدرة إبليس وما ادعوا فيه من آيات القرآن جميعاً ؛ التى فيها ذكره وسوسته لبنى آدم ، أن ينصرف كله على الهوى الذى يهواه الناس مع شيطان بنى آدم أيضاً .

وإنما الهوى شيطان ؛ لأنه رصاً للشياطين . على مقدار قول موسى ، صلى الله عليه؛ حيث وكز [1] القبطى فقتله : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) ﴾[2]؛ أى إنه عدوٌّ لبنى آدمَ ؛ عليه السلام . ونولده من بعده على العداوة الأصلية ؛ إن هذه المعصية من جنس عمل الشيطان الذى عمله ؛ فكان معصيةً .

* * *

لم يشارك الشيطان موسى فى قتل القبطى:

ولو كان قتل موسى ، عليه السلام ، للقبطى عملاً للشيطان عمله هو ، دون موسى ، ﷺ ، لم يجز أن يقول الله ، عز وجل : ﴿ قَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾[3] ؟! .. وكان الواجب أن ينسب قتل القبطى إلى قاتله ، وهو إبليس ، ولا يرمى [4] به موسى، وهو برئٌ : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) ﴾[5] .

وكيف يدخل ، عز وجل ؛ فيما عاب ، أو يُلزم البُرآء قتل الشحناء [6] ؟! .. وإن كان إبليس أعانَ موسى فى قتل القبطى ، بمقدار شعرةٍ ، لزمه أنه شريك لموسى ، عليه السلام ، فى القتل ، ووجب عليه نصف الدية فى حكم الإسلام ؛ لأن الدّية على من قتلوا [7] كلهم لا بعضهم دون بعض ؛ وكلٌّ منَ قتل رجلاً فلابُدَّ أن يكون معه إبليس بالحضرةِ يقتل معهُ الناس أينَ ما كانوا! . وكذلك الزناة واللاطة [8]

---

(١) أي ضربة بيده مضمومٌ أصابعها فى صدره وهو لا يريد قتله .

(٢) سورة القصص : آية ١٥ .

(٣) سورة طه : آية ٤٠ .. والفتون : الإبتلاء ؛ وهو مصدر .

(٤) فى الأصل : يرما .

(٥) سورة النساء آية ١١٢ .

(٦) الشحناء : الحقد والعداوة والبغضاء.

(٧) فى الأصل : قتل .

(٨) مفردها لوطى : أى من عمل عمل قوم لوط ، والمصدر منها لوْط .

وشراب الخمور والسُّرَّاق ، وجميع أهل المعاصى فى البر والبحر والشرق والغرب والسهل والجبل ؛ فيكون معهم إبليس مشاركاً لهم فى جميع المعاصى أين ماكانوا!.

١- فإن قال من خالفنا بهذا القول الزمهم أن ليس بين ربهم القول العزيز المطلع ١٣٧و/ على جميع الخلائق - فرق ، وين / إبليس الذليل العاجز الضعيف ! .

* * *

فى إبطال أن له أعوان !

وإن قالوا : إن له أعوان يفرقهم فى جميع البلدان ، فيضلوا [١] الخلق ؛ لزمهم أن يقال لهم : أخبرونا عن هؤلاء [٢] الأعوان والجنود لإبليس ؛ مجبورونَ على إضلال الخلائق وتفرقهم فى جميع البلدان ، حتى لا تخفى [٣] عليه خافية سراً ولا علانية ، أم مخيرون تخييراً ؟! .

* * *

إبليس هل هو مخير أم مجبور ؟

٢- فإن قالوا : بل هم مجبورون جبراً على إضلال الخلائق .

قلنا لهم : فما حيلة الخلائق ؟!.. وأى قوة (لهم) على أن يخرجوا من تسليط ربهم عليهم ، ما لا يقدرون على التخلص منه ؟!..

ويلزمهم أن القرآن قد انتقض فى قوله ، عز وجل **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾** [٤] .

* * *

هل إضلال الشيطان للناس عبادة منه لله ؟!

فإن زعموا أن إضلالهم للخلق هو عبادة لله ، عز وجل ؛ ألزموه ، عز وجل ؛ الجور والظلم والعذاب ، لمن عبده وأطاعه ؛ إذ قال فى كتابه إنه يعذب المطيعين ، إذ

---

(١) فى الأصل : فيضلون .

(٢) فى الأصل : هاولا .

(٣) فى الأصل : تخفى .

(٤) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

قال : ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) ﴾ [1] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ [2] !..

فتراه سمى المطيعين له غاوين – على قود قولكم !..

٣- **وإن قلتم** : مجبورن تخييراً لا قسراً لزمكم ان قولكم بالجبر باطل ، وان **أهل العدل** اصوب قولاً منكم ، وان الناس يقدرون ان لا يطيعوا إبليس فى قوله وامره وفعله ووسوسته ، وان لهم عن ذلك مندوحة ومعزلاً وغنى [3] ؛ وانه لامقدرة له على معصيتهم ، ولامقدرة له ولا لجنوده على إضلالهم جبراً أو قسراً ؛ لأنهم – أعنى الجن– مخيرون تخييراً ؛ ولذلك لزمهم ان لايضلوا عباد الله ، عز وجل ، إذ خلقوا كلهم للطاعة لا للمعصية .

* * *

من الذى قتل القبطى موسى أم الشيطان أم هما معاً ؟

ودليل آخر ؛ انه لايجوز لموسى ، صلوات الله عليه ، فى عظمة وشرف مقامه وكمال ورعه وصدق لسانه وبارع علمه ، أن يلزم إبليس قتل القبطى ، وهو القاتل له وحده ؛ إذ قال : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [4] فالزمه إياه كله ، ولم يقل : هذا من عمل الشيطان وعملى معه ايضا ، فيلزمه الكذب ها هنا . إذ كذب على إبليس إذ ألزمه القتل كله ؛ ولم يذكر نفسه !..

وهذا خارج من الحق ، والانبياء لا يقولون إلا الحق ، صلوات (الله)[5] عليهم أجمعين ؛ وإنما المعنى فيه الذى عنى [6] الله ، عز وجل؛ أنه – أى موسى ، عليه السلام[7] – عنى أنه – أى القتل بلا ذنب ظلماً [8] – من جنس عمل الشيطان وشكله ، إذ عمل إبليس المعصية فى بدء الأمر ، يوم غشَّ آدم ، صلى الله عليه ؛ وكان إبليس أول من عصى [9] الله ، عز وجل؛ معصية عمدٍ ، لا ما ذهب إليه الجهال أنه

---

(١) سورة الشعراء : الآيتان ٩٥ – ٩٦ . ، ويختصمون : يتجادلون ويتنازعون .

(٢) سورة ص آية ٨٥ .

(٣) فى الأصل : وعنا .

(٤) سورة القصص آية ١٥ .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فى الأصل : عنا .

(٧) من وضعنا .

(٨) من وضعنا .

(٩) فى الأصل : عصا .

يقدر على القلوب ولطائف الصنع ، كقدرة الله ، عز وجل ؛ وكذب العادلون بالله ، وضلوا ضلالاً بعيداً .

* * *

لقد ساوى المجبرة بين إبليس وخالقه :

ومن قال هذا ، فكيف بالله ، عز وجل [١] ، ساوى / بينه وبين خلقه فى القدرة ولطائف الصنع !..

فنعوذ بالله من العمى [٢] فى دينه والصد عن سبيله .

ولو كان إبليس يضلُ الخلق بأمرٍ لا يعرفونه ، وسبب لا يرونه ، وبحيلة لا يهتدون إلى وصفها ولطائف تدق عليهم ؛ لوجب أن له من المقدر والقوة مثل ما لله ، عز وجل!..

وهذا أعظم الفساد وأكبر الإلحاد وأشد العناد .

* * *

(١) اى كيف يكون ربه ؟ بعد ان وصف إبليس بما لايكون إلا لله الواحد الاحد القادر القاهر الخالق العزيز .

(٢) فى الأصل : العما .

الحجة الثانية

إقامة الدليل على أن إبليس لا يعد أحداً أو يمنيه

ومن الحجة عليهم ، في دعواهم أن إبليس يعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء ؛ أنا ، نحن وهم ، لم نشاهد أحداً يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء إلا شيطان بني آدم ،فكيف جاز لهم أن يقطعوا الشهاد على شيطان الجن دون شيطان الإنس ، وقد أعلمهم الله ، عز وجل ، أن في الإنس شياطين وفي الجن شياطين [1] !..

فَلِمَ قطعوا الشهادة على الجني دون الإنسي ، والإنسي ، بالمشاهدة (هو) [2] ، الذي عمل بنا العمل ؛ والجني لم نشهد عليه ، بالعيان ، كما شهدنا على هذا الآخر؛ والله ، عز وجل ، فلمَ يُفرد واحداً منهما دونَ الآخر في كتابه [3] .. فكيف جاز لهم هذا القول ؟!..

ولو كان لإبليس من القوة والقدرة ولطائف الصنع ودقائق الأسباب ، التي لو اجتمع الخلق على أن يقفوا على كنه واحدة منها ما قدروا على ذلك أبداً .

فيلزم من خالفنا أن ليس بين قوة الله ، عز وجل ، وقدرته ولطائف صنعه ودقة أسبابه ، وبين قدرة إبليس وقدرته ولطائف صنعه ودقائق أسبابه فرق ، وبين الخالق - وهذه صفة الواحد الفرد الذي ليس كمثله شئ - والذي قالوا في قدرة إبليس ولطائف معانيه ، يوجب فساد التوحيد ؛ وأن كمثل الله ، عز وجل ؛ حَيّاً يقدر كقدرته ويفعل كفعله !.. عز عن ذلك القوى العزيز .

* * *

هل أقدر الله إبليس على ما يفعل ؟!

فإن قال قائل : إن الله عز وجل ؛ أقدره على ذلك ، وجعل له السبيل والقوة على

---

(١) يشير إلى قوله ، عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام آية ١١٢ .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ الأنعام آية ١٢١ .

(٢) زيادة ليست بالأصل .

(٣) ويمكن أن تقرأ هكذا : «فلم يفردُ ....؟» .

فعله . لزمه أن حكمة الحكيم ها هنا غير حكمة ؛ وحسن نظره لخلقه غير حسن نظر ، ورحمته لهم غير رحمة ؛ إذ أقدر عليهم عدواً يأتيهم من حيث لا يعلمون ، وقد أمرهم بمخالفته بعدما أقدره عليهم !. . فأىُّ جور يكون أعظم من هذا الجور ، وأى ظلم يكون أكبرمن هذا الظلم ، إذ كلفوا الحذر ممن لا يرون إلى معانى أسبابه الواقعة ، ١٣٨و/ بعد ما قال فى كتابه ، على لسان نبيه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) ؛ و قوله : ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ (٢) ؛ وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ (٤) !.

* * *

الحق لا يختلف ولا يتضاد :

فهذا شئ يخالف بعضُهُ بعضاً ، والحق لا يختلف ولا يتضاد ؛ إنما الذى يختلف ويتضاد الباطل . وإن لا ، فهل يوجدونا حجة نعقلها ، ويعقلها معنا الرجال ، ذووا الألباب، حتى تصح وتلزمنا بها الحجة ؛ إنْ واحداً منهم ، أو من غيرهم ، وعدهُ إبليس– منذ خلق – الفقر ، أوصدَّهُ عن الطاعة ، أو وسوسهُ فى صلواته أو فى غيرها .

* * *

كيف وعد و صد ووسوس؟!

كيف ذلك كله الذى كان من إبليس إليه !!

فإن جاء فيه بحجة قاطعة بيِّنة تشهدُ عليها العقول ، ويفهمها أهل العلم والمعرفة بأمر واضح بيِّن ، رجعنا عن قولنا إلى قوله ، وتُبنا عما كنا عليه .

* * *

أدوات المعرفة :

لأنا لا نعقلُ الوسوسة والأمر بالفحشاء ولا وعد الفقر ، إلا على قدر البينة التى نبأنا الله ، عز وجل ، عليها وما جعل لنا من **الإدراك بالحواس الخمس وبخاطر العقل** .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٢) سورة الطلاق آية ٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٤٣ .

وهذا الشيطان - الذى ذكره مخالفونا - لم يلقانا قط فيكلمنا مواجهة ولم يكلمنا من وراء حجاب ؛ ولم يخاطبنا على لسان رسول بعثه إلينا ؛ فلم يأتنا منه كتاب نقرأه ونعلم ما فيه ، وليس البنية - التى نحن عليها - تعقل الأشياء ، ولا تصل إلى علمها إلا من هذه الجهات ، وهى الحواس الخمس - التى لا سبيل لبنى آدم إلى شئ مما يدركونه إلا بها - وقد سقطت كلها عما ادعوا ؛ وأن إبليس لم يأتنا قط من قبل الحواس الخمس .

فقد بان هذا وصح ، وبطلت فيه دعوى كل كاذب على الله ، عز وجل ؛ وعلى كتابه ؛ إذ جهلوا القرآن ومعانى اللغة العربية فيه .

* * *

نفى كون لإبليس تأثير فى قلوبنا :

فإن قالوا : إنما يأتى إبليسُ الناس من قبل أن يوقع ذلك فى قلوبهم لا غير ذلك . لزمهم القول الأول ؛ أنه يجب له من القوة والقدرة الدقيقة اللطيفة ما يجب لرب العالمين العلى العظيم ؛ الذى لا يقدر على تصريف القلوب وتقليبها غيره ، عز وجل !

وإبليس أقل وأذل وأضعف من أن يكون بهذه المنزلة العالية الرفيعة ، التى لم يقدر عليها الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون ؛ وقد مدح الله ، عز وجل ، نفسه - فى غير موضع من القرآن - باطلاعه على القلوب وعلمه بالضمائر وقدرته على تصريفها وتقليبها ، فقال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

فإن كان إبليس يقدر أن يحولَ بين المرء وقلبهِ ، فقد لزمهم ووجب عليهم أن له قدرة كقدرة الله ، عز وجل ، وأنه قد ساواه فى هذه المنزلة التى مدح الله (عز وجل) [2] بها نفسه ولم يكن له عليه فضل .

١٣٨ظ/ وقد زعمتم أن إبليس يقدر أن يحول بين المرء / وقلبه . ومن قال بهذا فقد بان كفره وظهر جهله ، وخرج من الإسلام كافة ، وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَنَعْلَمُ مَا

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٢) ليست فى الأصل .

﴿ تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] ، فتراه – عز وجل – قد أضاف وسواس النفس إلى النفس ولم يضفه إلى إبليس !.

الهوى هو الداعي ..

إذاً الهوى [2] هو [3] الداعي إلى كل صواب وخطأ ووسواس وكل خير وشر ، وأنه لا فاعل لذلك غير الآدمي ؛ إذ لا قدرة لأحدٍ على تصريف القلوب ، وإمالتها عن شئ إلا الله الواحد الفرد القوى القادر اللطيف الصنع ، الذى عجز عن كنه لطائفه أهل الغموض فى العلم [4] ؛ وأهل التدقيق من أهل النظر ، وتاهت العقول والأوهام عن إدراك ذلك ، وثبتت به الوحدانية ووجبت به على الخلق الطاعة .

فإذا كانَ موصوف آخر غيره تجب له هذه الصفة الشريفة الكريمة العظيمة فما الفرق بينهما !.. بينوه لنا إن كنتم صادقين !..

* * *

احتجوا بقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [5] .

فإن قال قائل : قد قال الله ، عز وجل ، فى كتابه ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [5] فقد أخبرنا بهذه فلا حجة لكم فيها .

* * *

الرد عليهم فى احتجاجهم :

قلنا رادين عليه ، لجهله ، وناقضين عليه خطأه ، ومحتجين عليه بما يقطع – بعون الله– على أداء الصواب ، والقول بالحق : إنما عنى [6] الله ، عز وجل ، بهذه الآية –

---

(١) سورة ق : آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : الهوا .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) لا ادرى ماذا يقصد بهذه العبارة .. غيرانه ربما قصد علماء الطبيعة والرياضيات ..او قريباً من هذا .

(٥) سورة الناس الآيات ٤ – ٦ .

(٦) فى الأصل : عنا .

التى ذكرت – ما يتصور فى قلوب بنى آدم وفى صدورهم وماتجريه الخواص فى الصدور [1] ، من ذكرها للجنة والناس فى الصلاة وفى غير الصلاة ؛ إن ذلك أمر غير مجهول لما تجده يوسوس فى صدرك من ذكر الجنة والناس ؛ ولا موسوس وسوسك ولامكلم كلمك ولا احسست احداً مازج قلبك .

* * *

هل هناك وسوسة من الأصل؟!

والدليل على صدق قولنا ، وثبوت حجتنا أنك – إذا كنت تصلى ثم خطر فى صدرك خاطر – أن أحداً من الناس لا يكلمك فى صلاتك ؛ إذ قد علم الناس أن ذلك شئ لا يجوز ؛ فأحد لا يكلم أحداً فى الصلاة ، ولا يوسوسهُ ولا يساره إذا هو يصلى؛ بإجماع الخلق معنا على هذا القول !..

فإن وسواس الإنسان – الذى ذكره الله ، عز وجل ، حيث قال : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [2] .

فأخبرونا الآن كيف وسواس الناسُ للناسِ فى الصلاة إن كنتم صادقين؟!.. فلا سبيل لكم إلى ذلك أبداً .

فإن قالوا : هو صياح من يصيح بى ، وكلام من يكلمنى .

قلنا له : ليس ذلك يعنى ، إنما يعنى وسوسة دقيقة لطيفة ، كما ادعيتم ؛ لإبليس؛ ١٣٩و/ فأما أصواتُ بنى آدم ، وشغلُهم للمصلى فهوكثير غير قليل . فبطل ما ادعيتم فى وسوسة بنى آدم لصاحبه فى الصلاة وحدها .

* * *

---

(١) إنه يشير إلى الخواطر والتى قسمها الغزالى إلى دواعى خير وشر .. وسماها إلهامات ووساوس .. والداعى إلى الأولى الملك ، وإلى الثانية الشيطان .

(٢) سورة الناس آية ٦

يعنى لا يخرج عن كونه حديث النفس وترددها بين خواطرها المختلفة ؛ ومن هذه الخواطر ما هو خير وما هو شر ؛ تنشأ من انشغال الإنسان بالدنيا وما يتنازعه فيها من رغبات وأهواء وأمانى .

لهذه الآية تأويل لم يدركه المجبرة :

ووجب أن له تأويلاً لم تعرفوه [١]، وكذلك يلزمكم فى وسواس الجن للناس ؛ أنه لايعقل إلا بإدراك الحواس الخمس [٢] ، وقد صح أن الحواس لا تدرك إلا ما كان محسوساً [٣] ؛ ولذلك سميت الحواس لحسّها الأشياء كلها [٤] وإدراكها لها كلها ؛ ولذلك لزمها التأديب والأمر والنهى والثواب والعقاب .

* * *

أثر الإدراك الحسى فى المعرفة :

فأما ما لا تدركه الحواس فلا حجة عليها فيه لله الواحد ، الذى لا يدرك بالحواس ؛ وبذلك وجبت له الوحدانية ، واستحق الربوبية ، إذ لا يدرك بالحواس ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس .

* * *

إدراك التكليف شرط من شروط قبوله :

فإن كان ثم شئ نهينا عنه وحُذِّرنا عن مواقعته ، وهو شئ لا تدركه الحواس ، فهذا تكليف ما لا يطاق ولا يعرف ولا يمكن الحذر منه ، لغموضه فإنه لا يدرك أبداً؛ فهذا ما لا يجوز على الله ، عز وجل ، فى حكمته وحسن فعله وعدله ، البعيد

---

(١) أى لهذا الوسواس الخناس .

(٢) فى بيان أن الحواس خمس أواكثر انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ٣٠ .

(٣) فى بيان أن الحواس لا تدرك إلا ماكان محسوساً ، انظر رأى علماء الأصول وخلافهم حول هذه المسألة .
الأشعرى : المقالات ؛ ٢ / ٥٩ .

(٤) فى بيان معنى الإدراك انظر الجرجانى : «التعريفات» ، ص ٢٥ حيث يقول : **الإدراك** : هو الإحاطة بالشئ بكماله .
وهو حصول الصورة عند النفس الناطقة ، وتمثيل حقيقة الشئ وحده ، من غير حكم عليه بنفى أو إثبات ، ويسمى **تصوراً**؛ ومع الحكم بأحدهما يسمى **تصديقاً**
أما كيف يحدث الإدراك الكلى فى الحس المشترك ، فيقول عنه الآمدى فى كتابه «المبين» ، ص ١٠٥ : **وأما الحس المشترك ؛ ويسمى فنطاسيا** : فعبارة عن قوة مرتبة فى مقدم التجويف الأول من الدماغ ، من شأنها إدراك ما يتأدى إليها من الصور المنطبعة فى الحواس الظاهرة

عـن الجور والظلم ان يحذر العباد عن امرٍ لا يقفون له على كنه ولا يقفون لـه على صفـة [١].

* * *

العوام لا يدركون تأويل المتشابه :

ولا يجوز أن يكون بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار ، الذى ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ؛ وفى القرآن (الكريم) [٢] آيات متشابهات لها تأويل لا يعقله العوام ولا الغباة من الأنام [٣]؛ **ولها أيضا معانى دقيقة فى لغة العرب تعرفها العرب فى كلامها،** ويجوز فى خطابها ، لما خاطبها رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، عن الله عز وجل ثناؤه ؛ بلسانها العربى المبين ، الذى لا عوج فيه ولاعماية فى نسقه ، ولا خفاء عنهم فى تصريفه ؛ ولذلك لزمتهم به الحجة ؛ إذ هو عربى لا يخفى عليهم منه حرفٌ واحد فما فوقه ؛ لأنه عربى مبين ، كما قال الله ، عز وجل .

* * *

الوسواس هو ما يخطر على قلب الأدمى من ذكره الجنة والناس :

فمن الشواهد على ما قلنا : أن الوسواس إنما يعنى به ما يخطر على قلب الآدمى [٤] من

---

(١) هل يكلف الله عباده ما لا يطاق . . أو يجوز فى حقه ذلك ؟

اختلف القائلون بالعدل والتوحيد مع التيار الجبرى ، الذى يمثله جهم بن صفوان والأشعرى من بعد ، وغيرهما من الطوائف الإسلامية – والفرق بينهم فى الدرجة وليس فى النوع – فى هذه المسألة . . انظر الإيجى : المواقف ؛ ص ٣٢٠ ، والأشعرى : اللمع ؛ ص ١٠٧ وما بعدها ، والقاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٧ .

(٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٣) انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ٢ / ١٠٣ .

(٤) فى بيان موقف المسلمين من الخواطر . . ومعنى الوسواس . . وكيف يوسوس الشيطان لبنى آدم . . وكيف اختلفوا فى ذلك ، انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ١٠١ ، ١٣٤ . . . أما الخاطر فى المصطلح ، فقد ذكره الجرجانى فى التعريفات، ص ١٠٧ . . فقال : الخاطر : مايرد على القلب من الخطاب ، أو الوارد الذى لا عمل للعبد فيه ، وماكان خطاباً فهو أربعة أقسام :–

١- ربانـى : وهو أول الخواطر ، وهو لا يخطئ أبداً ، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع .

٢- وملكـى : وهو الباعث على مندوب أو مفروض ، ويسمى إلهاماً .

٣- ونفسانى : وهو ما فيه حظ النفس ، ويسمى هاجساً ؛ وشيطانى ، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق ، قال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٦٨ .

وهكذا نجد الجرجانى ، فى القرن التاسع الهجرى ، لا ينسب للشيطان فعلاً فى الإنسان ، لقد كان المسلمون دائماً على وعى . . لولا غلبة الخرافة على جهالهم .

ذكره الجنة والناس ، لا أنهم يوسوسنه فى صلاته ، فأما غير الصلاة فإن شياطين بنى آدم توسوس إخوانها بكل شئ مما تأمرها به ، وتشير عليها من القتل والزنا والسرقة والشرب للخمر وجميع المعاصى .

* * *

شياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ، وكذلك شياطين الجن :

والدليل على ذلك قوله : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [1] فشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ، لا الجن توحى إلى الإنس ، ولا الإنس إلى الجن ؛ لأنا لم نجد ذلك قط .

وأما قوله – عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [2] فإنهم يقولون : لو شاء لحال بينهم وبين تلك المعاصى التى يوحى بها بعضهم إلى بعض ؛ حتى لا يقدروا على فعلها ؛ ولكنهم مخيرون غير مجبورين فافهم هذا الباب ، إن شاء الله [3].

* * *

أثر اللغة ومعانيها فى فهم القرآن الكريم :

١٣٩ظ / رجع الكلام إلى تفسير الشواهد على قوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[4].

(١) الشاهد الأول :

فمن ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ [5] ، ثم قال فى ثمود ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [6] ، فأخبر عز وجل ؛ أن عاداً أهلكت بالريح الصرصر [7] ، وأن ثموداً أهلكت بالرجفة [8] ، ثم قال ، بعد

---

(١) ، (٢) سورة الأنعام آية ١١٢ .

(٣) اختلف المسلمون هل يخبر الجن الناس بشئ أو يخدمونهم ؟ . انظر الاشعرى : المقالات ، ٢ / ١١٠ .

(٤) سورة الناس آية ٦ .

(٥) سورة الحاقة آية ٦ .

(٦) سورة الأعراف آية ٧٨ . . وكذلك الآية ٩١ من السورة نفسها .

(٧) الريح الصرصر : شديدة البرودة .

(٨) الرجفة : الزلزلة الشديدة يقال رجفت الأرض : أى اضطربت وزلزلت .

ذلك فى سورة حم السجدة [1] : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾ [2] !.

فجاء – ها هنا – أن الفريقين إنما هلكا جميعاً بالصاعقة بعد ما قال ما قال أنهما هلكا بالريح والرجفة !..

هذا من عجائب العربية ؛ لأن الريح عند العرب الصاعقة [3] وكل عذاب هو عندهم صاعقة ؛ لا يشكون فى ذلك ؛ لما يعوا فى كلامهم وخطابهم ، والدليل علي ذلك أن الصعق القهسى كان يقرى اضيافاً له ، واشتدت عليه الريح مآذنة فدعا عليها ، فسلطها الله ، عز وجل ، عليه فاهكلته فمات منها ؛ ولذلك لا يعرف هو ولا ابنه فى قيس إلا بعمر بن الصعق .

قال الشاعر :

وإنَّ خويلـــداً فابلــى عليـــه ... فتيلُ الريحِ فى البلد التِهامى

فسمَّوه « الصعق » ورَثَوْهُ بأنه قتيل الريح ، وأن الصعقَ عندهم – هو الريح ، فافهم هذا الباب ؛ إن شاء الله .

(٢) الشاهد الثانى :

وشاهد آخر قوله ، عز وجل : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [4] والكفار لم يكونوا قط فى النور فيخرجوا منه ، وإنماهم فى الظلمة والعمى [5] ابداً ؛ وإنما المعنى فيه أن من مال عن الحق فهو خارج من النور [6] .

---

(١) يقصد سورة فصلت ، وهو احد اسمائها .

(٢) سورة فصلت : آية ١٣ .

(٣) الصاعقة : العذاب المهلك . قال تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ سورة الرعد / ١٣ .
والصاعقة كذلك : جسمٌ نارى مشتعل يسقط من السماء فى رعدٍ شديد .

(٤) سورة الاحزاب آية ٤٣ ، وكذلك سورة الحديد آية ٩ .. وقد وردت فى الأصل هكذا ﴿ لتخرجهم .. ﴾ وهو خطا بيّنٌ.

(٥) فى الاصل : العما .

(٦) يبدو ان المؤلف يقصد قوله تعالى : سورة البقرة آية ٢٥٧ .. لان كلامه لا ينطبق إلا على هذ الآية .. وهو ما يؤكد انه كان يقصدها ، ولكن سبقه قلمه بذكر آية اخرى . وفيها يقول الزمخشرى : (يخرجونهم) من نور البيّنات التى تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة . الكشاف ، ١ / ٣٠٤ .. وهو ما لا يفعله إلا شياطين الإنس .

(٣) الشاهد الثالث : (المقلوب في اللغة) :

وقال الله ، عز وجل ، في صفة النار – نار الآخرة – ﴿ **لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** ﴿٧٥﴾ ﴾ [١] وأعلمنا أنه لا يفتر [٢] عنهم ؛ والذي لا يفتر هو الدائم غير المنقطع، ثم قال : ﴿ **مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً** ﴿٩٧﴾ ﴾ [٣] فاعلمنا – ها هنا – أنها تخبو ، و«الخبوُ» في لغة العرب ، التي يتجمد لهبها القوى ، ويعود إلى الجمود والسكون واللين بعد الشدة والحركة العظيمة [٤] .

قال الشاعر :

يسطعُ الضربُ بينهم ثم يخبو كالخباءِ المقطَّعِ الأطنابِ .

وهذا يوجب الاختلاف ؛ وقد قال الله ، عز وجل ؛ ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴿٨٢﴾ ﴾ [٥] .

وإنما المعنى فيه وهو باب تسمية العرب المقلوب في اللغة [*] ، وكذلك تسمية المقلوب في لغاتها وأشعارها .

وإنما المعنى فيه أن النار كلما أحرقت جلودهم أعادها الله ، عز وجل ، على ما ١٤٠و/ كانت عليه تأكلهم ، حتى يحترقوا ، ثم يعادوا ويبدأوا ، وذلك قوله ، عز وجل : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [٦] فقال – عز وجل– : كلما خبت زدناهم سعيراً ؛ يعني بالخبو ، خبو ما يحرق لا خبوها هي . وهذا الباب تسميه العلماء المقلوب في القرآن . وكذلك تسمية العرب في لغاتها وأشعارها .

قال الشاعر في نحو ذلك :

حتى لحقناهم تعدوا فوارسنا كأننا زغن قف نرفع الآلا [٧]

---

(١) سورة الزخرف آية ٧٥ . . والمبلس : الذي يأس من تخفيف العذاب ، من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس .

(٢) لا يفتر : اى لا يخفف عنهم العذاب ولا يسكن .

(٣) سورة الإسراء : آية ٩٧ .

(٤) انظر المعجم الوسيط ، مادة «خبو» ، ١ / ٢١٦ .

(٥) سورة النساء آية ٨٢ .

(*) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، باب المقلوب ، ص ١٨٥و وما بعدها .

(٦) سورة النساء آية ٥٦ .

(٧) البيت في الأمالي ، ٢ / ٢٨٨ ، وهو من بحر البسيط..

فقال : نرفع الآل ، والآل [1] : السَّراب فى لغة العرب ، يريد أن الآل يرفع القف ، والقف : هضبة من الهضاب ، فيصير الآل يرفع المرفوع وهو الرافع .

وقال آخر :

ونركب خيلاً بعد خيل قواصداً .. وتعدوا الرماح بالضياطرة [2] الحمرِ .

فصَيَّر الرماح تعدوا بالرجال ، والرجال هم الذين يعدون بها .

وفى ذلك يقول الله ، عز وجل ؛ ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [3] والعصبية [4] هى التى تنوء بالمفاتيح . فافهم هذا الباب ، إن شاء الله .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [5] والعجل منه هو ؛ وهذا حجة عليك فى قولكم : يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، الا ترى قوله : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [6] والعجل منه هو !!.

ومن الشواهد على تصريف اللغة العربية ، قوله ، عز وجل : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[7] والليل والنهار لا مكر لهما ، وإنما عنى [8] ، عز وجل ، مكر الكفار [9] بالليل والنهار ، فجاز ذلك فى اللغة ، كما تقول العرب : أكل الليل يضرُّنى .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، ١ / ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) اى الفرسان العظيمة الضخمة المهابة .. والضوطر : الضخم الاغناء عنده .. وقد نسبه المبرد فى « الكامل » لخداش بن زهير ، ١ / ٢٧٤ ، وكذلك ابن منظور فى « اللسان » ٦ / ١٦٠ ورواه هكذا : « وتشقى الرماح » .. وفى قصيدته التى رواها فى « جمهرة اشعار العرب » ، ص ١٠٨ .

وقال ابن قتيبة فى كتابه « تاويل مشكل القرآن » .. « ومن المقلوب ما قلب على الغلط » وذكره ، ثم قال : اى « تعصى الضياطرة بالرماح » وهذا ما لا يقع فيه التاويل لان الرماح لا تعصى بالضياطرة ، وإنما يعصى الرجال بها ، اى يطعنون ؛ ص ١٩٨ . كما جاء فى اللسان : « ويجوز ان يكون عنى ان الرماح تشقى بهم ، اى انهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز ان يكون على القلب ، اى تشقى الضياطرة الحُمر بالرماح ، يعنى انهم يقتلون بها » .. وهو من بحر الطويل .

(٤) سورة القصص آية ٧٦ .

(٥) العصبة : الجماعة من الناس او الخيل او الطير ، والجميع عُصَبٌ .

(٦) سورة الانبياء : آية ٣٧ .

(٧) سورة سبأ آية ٣٣ .

(٨) فى الاصل : عنا .

(٩) ذكر ابن قتيبة فى « تاويل مشكل القرآن » باباً عن الحذف والاختصار قال فيه : « ومن ذلك ان تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له ، فذكر هذه الآية ومما ذكره قوله تعالى ﴿اسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف ٨٢ - اى سل اهلها ، وقوله ﴿أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ البقرة ٩٣ - اى حبه ، و ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ البقرة ١٩٧ - اى وقت الحج - وغيرها فى القرآن كثير ، انظر ص ٢١٠ وما بعدها ، بتحقيق الاستاذ السيد احمد صقر ، وقارن بهامشه ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ من « الصناعتين » للعالم البلاغى الكبير ابى هلال العسكرى .

وهو لا يأكل الليل ، وإنما يريد : أكلى بالليل يضرنى .

قال الشاعر يمدح **هوذة بن على الحنفى** [1] :

خيلك فى الصيف فى نعمةٍ تصان الجلال وتعطى الشعيرا [2]

وإنما يريد تصان بالجلال ، فصيَّر الجلال المصونة .

وقالت **خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية** [3] تصف ناقة بطلت [4] ولدها :

ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت فإنما هى إقبال وإدبار [5]

تعنى أنها مقبله ومدبرة، لا أن فى صورتها إقبال وإدبار ، وهذا من عجائب العربية، التى صرفوها إلى عقولهم واتباع أهوائهم هذا ، وإنما جربنا هذا الاحتجاج فى اللغة العربية وكيف تصريف معانيها فى القرآن ؛ ليعلم جميع من [6] خالفنا فى إبليس وفى الجن أن ذلك كله له معنى يجرى فى اللغة العربية ، ويصرفها التأويل إلى ١٤٠ظ/ معنى [7] غير الذى ظنوا ، ولكن لا معرفة للقوم بمعانى القرآن ، ولا معانى

---

(١) هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو الحنفى ، من بنى حنيفة . من بكربن وائل ، توفى سنة ٨ هـ / ٦٣٠ م : صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفى العهد النبوى .

وفيه يقول الأعشى (ميمون) قصيدته التى أولها : «بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا» ومنها «من يلق هوذة يسجد غير متئب» دعاه الرسول ، ﷺ ، للإسلام .. فاشترط أن يشارك النبى فى أمره ، فلم يجبه ، فأبى .. ومات بعدها بقليل .

(٢) البيت لأعشى بكر .. انظر ديوانه .. وكذلك فى الأمالى ؛ لأبى على القالى ؛ ١ / ٧٥ .

(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الرياحية السُّلمية . من بنى سُليم ، من قيس عيلان . من مضر ؛ توفيت سنة ٢٤ هـ / ٦٤٥م: أشهر شواعر العرب . وأشعرهن على الإطلاق . من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها فى العهد الجاهلى . وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله ، ﷺ ، مع قومها من بنى سليم فكان رسول الله ، ﷺ ، يستنشدها ويعجبه شعرها ، فكانت تنشد ، وهو يقول : هيه ياخنساء ! .. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا فى الجاهلية . لها ديوان شعر مطبوع ، فيه ما بقى محفوظاً من شعرها . وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً . فقالت : **الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم !..**

انظر ترجمتها بالأعلام للزركلى ؛ ٢ / ٨٦ .. وبهامشه ما يلى : «شرح الشواهد ٨٩ - ومعاهد ١ / ٣٤٨ - والشعر والشعراء ١٢٣ - والدر المنثور ١٠٩ - والشريشى؛ ٢ / ٢٣٣ - وفى أعلام النساء ١ / ٣٠٥ طائفة من أخبارها ، وحسن المحاضرة ، ص ٩٤ - وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٢٠٨ - وجمهرة الأنساب ؛ ص ٢٤٩ - وفى القاموس : ويقال لها خناس - كغراب - أيضاً .

(٤) أى فقدت ولدها .

(٥) البيت فى ديوانها ، ص ١١٢ .

(٦) فى الأصل ما .

(٧) فى الأصل : معنا .

اللغة العربية التى خاطب الله ، عز وجل ، أهلها بكتابه المبين وجعله حجة عليهم إلى يوم الدين .

الهوى إله الكافرين .. وهو أعظم من إبليس :

ألا ترى إلى قوله ، عز وجل : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [١] وإلا لهُ عنده أعظم من إبليس ، أفلا ترى أن الكافر جعل إلاهه هواه ، وكذلك يكون إبليسه هواه ، إذ أثبتنا فى كتابنا هذا الحجة الواضحة أن إبليس لم يغونا بشئ وقعت عليه حواسنا ، **وإنما كان إبليس عدواً لأبينا آدم ، صلى الله عليه ، وكل معصية من بنى آدم منسوبة إلى تلك المعصية .**

ألا تسمع إلي قوله ، عز وجل : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ** ﴾ [٢] ؛ فنحن نقول الآن ، لمن خالفنا : أخبرنا كيف يفتننا الشيطان إذ لانواجهه ولا نراه ولا نكلمه ولا يرسل إلينا ولا يكاتبنا ولا يقدر على قلوبنا ، لضعفه وذلته وعظيم عجزه [٣] ؟!

وأنا قد أوجبنا عليكم أنكم أثبتم له أنه يقدر على القلوب ويوسوسها بلطيفة لا نعلمها ، لزمكم أنه لا فرق بينه وبين ربكم ، الذى لا يعجزه شئ ، وأنكم إن قلتم : إنه أقدره على ذلك . وجب ظلمه لعباده وعذابه لهم على أمر أقدر عدوهم على فعله من حيث لا يعلمون ولا يقدرون على الحذر منه ! . .

وهذا خارج من العدل والرشد والرحمة وإرادة العسر لا اليسر ، لا مخرج لكم من هذا الباب [٤] .

* * *

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٣) يقصد الإمام أحمد أن الذرية تفعل فعل أبيها حيث اتبع هواه ، حين سمع كلام الشيطان وترك كلام ربه - غافلاً وناسياً .. فالآية لا تفعلوا كفعله ولا تعصوا كما عصى ، واحذروا الهوى فهو شيطانكم ، حيث لا شيطان لكم غيره يضلكم ، وهو تفسير لطيف للآية بعيداً عن التصور الجبرى لها .

(٤) اختلف الإسلاميون حول كيفية وسوسة إبليس لبنى آدم على ثلاثة مذاهب .. انظرها فى مقالات الإسلاميين، للأشعرى؛ ٢ / ١٠٩ ، أما موقفهم من قضية هل يعلم الشيطان ما فى القلوب ، فقد اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب كذلك ؛ ٢ / ١١٠ .

الإنسان لـه استطاعـة :

فإن قال قائل : فقد أراه أقدر بعضاً على قتل !

قلنا له : إنما جعل فينا استطاعة [1] ، وحرم دمانا علينا ، ونحن نرى من يريد لنا ضرراً ، ونقدر أن نتقيه ونحذر منه ، وهذا الذى وصفتم لا يقدر أحد أن يحذره ، وهذا يخرج من العدل والحكمة .

وإنما إبليس ، الذى جرت عليه المخاطبة فى جميع الآيات التى اعتلوا بها لا تخرَّج على شئ من جميع الأشياء إلا على الهوى المتبع والميل عن [2] الحق والاقتداء فى فعله، فسمى ذلك كله لإبليس طاعةً وفعلاً له ؛ إذ الهوى صار إلى مراده وفى طاعته فنسب ذلك إلى إبليس ، فاعلم ذلك وقف عليه بأحسن الفكرة ، إن شاء الله .

* * *

كيف يرانا إبليس وذريته ..وما أثر ذلك علينا :

وأما قوله : عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [3] فهذا هو الصحيح من القول ، قد جعل الله ، عز وجل ، له ولقبيله أنهم يروننا من حيث لانراهم ، إذ هم فى الهواء [4] والملائكة فى السماء ، ونحن فى الأرض فى الدنيا ، وليس لهم علينا مقدرة ولا كرامة لهم .

* * *

لمَ صرف المجبرة كلامهم إلى شياطين الجن دون الإنس ؟!

ومن جهل مخالفينا وعمى [5] قلوبهم أن الله ، عز وجل ، ذكر شياطين الجن والإنس فى كتابه ، فجعلوا جميع (همهم) [6] وحجتهم ومخالفتهم واحتجاجهم ١٤١و/ علينا فى شياطين الجن وحدهم ، ولم يذكروا ولم يحتجوا بشياطين الإنس – وهم أضرُّ وأشد بلاء وبأساً وعلواً وإهلاكاً من شياطين الجن!! ..

---

(١) الاستطاعة هنا بمعنى قوة وإرادة وقدرة ورغبة فى الفعل أو عدمه .،

(٢) فى الأصل : من .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٤) فى الأصل : الهوى .

(٥) فى الأصل : عما .

(٦) فى الأصل بياض

شياطين الإنس أقدر علينا من غيرهم :

أفلا جعلوا بعض هذا الإغواء والضلال والفساد منسوباً إلى شياطين الإنس ! .. كأنهم لم يسمعوا الله ، عز وجل ، إذ يقول : ﴿ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] وهم شياطين الإنس خاصة [2] .

* * *

من شيطانك أيها الإنسان ؟!

ولأنهم لا يرون شياطين الجن ، بشاهدة القرآن ان **شياطين الإنسان نفسُه وظلمه وهواه المتبع وعدوُّه** من شياطين الإنس ، واقتداؤه بإبليس ، وإنما يسمعون ذكر الشيطان فى القرآن ، وما أخبرنا الله ، عز وجل ، عنه ، وله تأويل غير ما ظنوا تعرفه العلماء ، ولا يشك فيه البصراء .

* * *

المثل فى القرآن الكريم .. للتفهيم والتقريب :

١- الا تسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [3]
والسموات والأرض والجبال فإنما هى أجسام جمادية لا سمع فيها ولا بصر ولا عقل ولا شفقة ولا طاعة ولا معصية ؛ وإنما مثل ضربه الله ، عز وجل ، للناس يريد به ، أنها لوكانت تعقل - كما يعقلون - وتفهم - كما يفهمون - لما حملت الأمانة ، كما حملتموها ولاشفقن منها [4] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤ .

(٢) جاء فى تفسير ابن كثير ان هؤلاء الشياطين هم رؤساءهم وكبراؤهم وزعماؤهم فى الكفر والشرك وقادتهم كأبى جهل وعتبة وشيبة وأمية بن أبى الصلت ، وكذلك اليهود الذين كانوا ينصرفون إليهم فيشيرون إليهم بعداء ، محمد ﷺ ، ومحاربته ، والمنافقون الذين يجتمعون فى الخفاء للكيد مع اليهود للإسلام ونبيه ، وقد كان ﷺ يتعوذ من شياطين الإنس والجن . ١ / ٥٥ ، ويقول الزمخشرى : ماثلوا الشياطين فصاروا مثلهم ١ / ٦٥ .

(٣) سورة الاحزاب آية ٧٢ .

(٤) قارن ما ذكره الإمام هنا بما ذكره الطبرى فى تفسيره ، ٢٢ / ٣٨ - ٤٢ - فسيتضح لك فرقاً كبيراً فى التفسير والتأويل وفيه دلالة على وعى هذا الإمام ومن جاء على نهجه ، من أصحاب التفسير البيانى للقرآن الكريم ، كالقاضى عبد القاهر الجرجانى والزمخشرى وغيرهما .

٢- وقول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [١] فنقول لمن خالفنا : أخبرونا متى خاطبها الله أقبل أن يكونا أو بعد ماكانتا ؟!

فإن قالوا : قبل أن يكونا .

قلنا لهم : فكيف يخاطب الله ، عز وجل ، شيئا لم يكوَّن ولم يخلق ؟!

وإن قالوا : خاطبهما بعدما كانتا .

قلنا لهم : فكيف يخاطب الله ، سبحانه ؛ شيئاً قد كان وخلقه !.. **فيقول له** : «ائت وكن» . وقد جاء وفرغ ؟!

فلا يجدون حجة يدفعونا بها .

وإنما هذا على معنى أن الله ، عز وجل ، خلقهما [٢] وحيث أرادهما ، فجاءتا كما أراد ، وليس ثَمَّ كلفة ولا اضطرار ولا قول «كن» لأنه الغنى لا يحتاج إلى شئ واحد من جميع الأشياء كلها ، ولو احتاج لشئ واحد لاغيره بطل قوله : ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [٣] ؛ لأنه غنى عن عباده على الحقيقة لا على المجاز .

* * *

قاعدة فى منهج الفهم :

وإنما هذه الأمثال والمعانى تحتاج إلى التأويل وطاعة العلماء والمستخلفين من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، وقد قال ، عز وجل ؛ ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٤] .

١٤١ظ/ فاعلمك (الله) ، عز وجل ، أنه لا يعقلها [٥] إلا أهل العلم ، ولا علم لمن جهل معدن الحق وقدر النبوة وخيرة الأمة .

---

(١) سورة فصلت آية ١١ .

(٢) اى إنه تصوير ومجرد ضرب مثل لانفعالهما بالقدرة الإلهية ؛ ومجاز لا يؤخذ ابداً على حقيقته كما فعل بعض المشبهة والكرامية حيث يرون ان اضراب هذه الآية لا مجاز فيها ، انظر ابن قتيبه : مشكل القرآن ؛ ص ١٠٦ ، ١١٢ .

(٣) سورة لقمان : آية ٢٦ .. وهى جزء من آيات كثيرة .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

(٥) العقل هنا بمعنى الإدراك .. عقل عقلاً : ادرك الاشياء على حقيقتها ، والعاقل : المدرك ، والعقل : ما يقابل الغريزة التى لا اختيار لها . ومنه : الإنسان حيوان عاقل .

وقوله – عز وجل : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [1] ؛ ومما عظموا به شان إبليس – عليه لعنة الله – ورفعوا به خطره وساروا بينه وبين الله ، جل الله عما قالوا وعلا علواً كبيراً .

* * *

الحشوية وروايات كاذبة :

١– من ذلك ما روته الحشوية [2] المبطلة أن إبليس – فيما زعموا – قال : **«ما حمل بمحمول قط إلا وأنا أعلم متى حمل به ، ولا يولد مولود الا وأنا أعلم به إذا ولد ، إلا عيسى بن مريم فإني لم أعلم به حين ولد»** [3] .

وهذا القول كفرٌ بالله العظيم ؛ ورد لكتابه صراحاً والمساواة بين إطلاع الله ، عز وجل ، على علم الغيوب ، وبين اطلاع ابليس علي علم الغيوب لا فرق بين ذلك عندهم !

وفي قولهم نزل قول الله ، عز وجل : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

(٢) الحشوية : قوم تمسكوا بالظواهر ، فذهبوا إلى التجسيم وغيره ، واجروا تفسير القرآن على ظاهره ، وسموا بذلك لانهم كانوا في حلقة الحسن البصرى ، فوجدهم يتكلمون كلاماً ، فقال : ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة ، فهم الحشوية بفتح الشين .

- وقيل : سموا بذلك ؛ لان منهم المجسمة ، او هم انفسهم المجسمة ، والجسم حشو ، وعلى هذا جاء قياس الحشوية نسبة إلى الحشو .
- وقيل : المراد بالحشوية طائفة – لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها ، بل يؤمنون بما اراده الله، مع جزمهم بان الظاهر غير مراد ، ويفوضون التاويل إلى الله ، وعلى هذا فإن إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن .
- وقيل : الحشوية طائفة يجوزون ان يخاطبنا الله بالمهمل ، ويطلقون الحشو على الدين ، فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة ، وهما حشو اى واسطة بين الله ورسوله وبين الناس .

(٣) روى عبد الرازق بسنده عن ابى هريرة ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «ما من مولود يولد إلا مَسَّه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من مسه إياه ؛ إلا مريم وابنها» . ثم يقول ابو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة آل عمران ٣٦ .. وروى ابن جرير نحوه عن ابى هريرة .. كماروى عنه ايضا ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة او عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم» .. وروى الليث ابن سعد بسنده عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : «كل بنى آدم يطعن الشيطان في جنبه حيث تلده امه إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن ؛ فطعن بالحجاب» رواه البخارى – ومسلم (انظر ابن كثير ١ / ٣٨٥ – ٣٨٩) . وانظر الدراسة فقد شرحناه وبينا المراد منه باستفاضه .

(٤) سورة الجن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

نقد المجبرة فى إكذابهم رب العالمين :

فنقول لهم : أخبرونا أيهما أصدق عندكم ، الذى رويتم عن إبليس فى قوله فى عيسى ، صلوات الله عليه ، وفى سائر الخلق ،الأنبياء من نوح إلى محمد ﷺ ، أنه علم بهم حيث حمل بهم ، وحيث ولدوا إلا عيسى عليه السلام ، أم قول الله ، عز وجل : ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا** ﴾ [3] .. وكذلك إبليس لا يحمل بمحمول ولا يولد بمولود فى بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا وهو يعلمه ، ويطلع عليه – على قولكم – وفى مذهبكم الباطل المبطل !! ..

فأخبرونى : أيهما أصدق عندكم روايتكم أم كتاب ربكم ؟! **فإن قلتم ؛ روايتكم أصدق عندكم من قول الله** ، عز وجل ، كفرتم بإجماع الأمة وخرجتم من الإسلام .

وإن قلتم : إن القرآن أصدق من روايتكم . رجعتم عن قولكم وفلجناكم وكان الحق معنا ، لا معكم ، بأوضح دليل وأبين شاهد .

وإن قلتم : إن كلا منهما صادق ، وروايتنا والقرآن كله صادق لا كذب فيه .

قلنا لكم : كيف يكون المتضادان المتنافيان المتخالفان صادقين جميعاً ! .. إذن لا يصح حق من باطل ولا يعرف صواب من خطأ أبداً ؛ وهذا ما لا يكون ولاتقبله العقول .

* * *

فى نقد هذه الرواية الكاذبة :

ثم نقول لهم : متى أخبركم إبليس ، عليه لعنة الله ، بهذه الرواية التى رويتم عنه فى الأنبياء وفى العامة وفى عيسى ، عليه السلام ؛ ومن سمعه يقول هذا القول[4] ؟!

---

(١) سورة النمل آية ٦٥ .

(٢) سورة الجن آية ٢٦ .

(٣) سورة الأنعام آية ٥٩ .

(٤) جاء فى الأثر عن ابن عون عن محمد أنه قال : إن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه » انظر الدارمى ؛ ١ / ١٢٤ . ، وقال ، ﷺ . « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . رواه مسلم .

فإن قلتم : سمعه الصدر الأول ، الذى يجب أن يكونوا بعد عيسى ، صلى الله عليه؛ ١٤٢و/ لأنه أخبركم - زعمتم أنه لم يعلم متى حمل بعيسى ، عليه السلام ، ولا متى ولد ، وهذا القول يوجب أنه أخبركم به بعد عيسى، عليه السلام، لا شك فيه.

فنقول لكم : كيف وجب إخباره لكم بهذا الخبر أمواجهة بكلام منه ، إليكم كان؟!

فإن قلتم : مواجهة بكلام ،كذبكم قول الله ، عز وجل : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [1]

وإن قلتم ؛ سمعوه سماعاً بآذانهم .

لزمكم أن تصحوا هذه الرواية ؛ مَنْ سمعها ومن يشهد عليها ؟!.. حتى يلزمنا خبره وصحة حجته ، ولن تجدوا ذلك أبداً ؛ لأنه باطل ، وأنه لم يدع أحد من أهل الإسلام والعلماء والعارفين أنه سمع الجن سماعاً دون المعاينة إلا رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ؛ فإن الله ، عز وجلَّ ، أخبر عنه أنه قال فى كتابه : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩)** ﴾[2] .

ولم يخبرنا - عز وجل - عن أحد غيره أنه سمع الجن ولا رآهم .

وإن قلتم ؛ إن إبليس كتب إلى مشايخكم وفقهائكم كتاباً بهذا الخبر .

سألناكم عن الكتاب كيف كان ، ومن الرسول الذى وصل اليكم بكتاب إبليس ، ومن قراه .. حتى أعلمكم بهذا الخبر فى عيسى ، عليه السلام ؟!.

وإن كان قد [3] قذفه فى قلوبكم . قلنا لكم فما الفرق بين قذف الله ، عز وجل ؛ فى قلوب الأنبياء والملائكة المبلغين عنه الوحى إلى من دونه ، وبين قذف إبليس ومقدرته على قلوبكم باللطيفة التى لا يقدر على مثلها إلا رب العالمين ؟!..

فهنالك تبين فضيحتكم ، ويبطل قولكم ، وتفلج حجتكم ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٢٩ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

هل إبليس مضطر فى وسوسته لبنى آدم ؟!

وإن كان إبليس - على قود قولكم - مضطراً إلى القذف فى قلوب بنى آدم ، وهو مسلط عليهم وهم مضطرون أيضا إلى ذلك من إبليس ، **فقد وجب عذرهم وعذره** ، ولاجناح عليه ولا عليهم ، لقول الله ، عز وجل : ﴿ **إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** ﴾ [1] فالله ، عز وجل ، لا يؤاخذ من اضطر إلى شئ من جميع الأشياء !

وإن قلتم : إنه يؤاخذ المضطر .

خالفتم القرآن ؛ ومن يخالف القرآن كفر بإجماع الأمة ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

هل لإبليس منقار كما تدعى المجبرة ؟!

وقد ذكر عن بعض من نظر فى هذا الباب من أنه وصف إبليس بأن له **منقاراً طويلاً** دقيقاً ، يدخله فى أذن الآدمى فيوصله إلي قلبه فيوسوس بذلك المنقار!

* * *

نقد هذا الكلام السخيف :

وهذا أحول المحال إذ جعل الله الحواس الخمس له على خلقه ليحسها ؛ فإذا غاب عن الحواس - مما لا تدركه - لم يلزمها فيه حجةٌ ، وكل من دخل فى أذنه شعرة فلابد أن ١٤٢ظ/ يحسها ، ويعلم بها ؛ إذ الحواس لابد لها من أن تحس ماوقعت / عليه أو وقع عليها .

وأنتم تعلمون وتشهدون لنا ، أن هذا المنقار لا علم لكم به ، إذا دخل فى الآذن ولا إذا صار فى القلب !

فإن قلتم : إن الله أقدره على ذلك .

لزمه الجور ، وأن لا قوة لنا على من فعل بنا هذا ، وأن حجتنا عليه قائمة ؛ إذ كلفنا ما لا نطيق ؛ وقد نهانا أن لا نطيع إبليس ؛ فكيف ينهانا عن أمر قد ألزمناه بعد ما قال : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [2] و ﴿ **إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [3] ؟!.. ولا يكون

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٩ . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (٣) سورة الطلاق آية ٧ .

الجور إلا مثل هذا الذى وصفتم به خالقكم ، عَزَّ عن ذلك وتقدس وعلا علواً كبيرا[1] .

***

المجبرة تبطل الشرع والعقل معاً :

وهذا ، الذى قلتم ، يبطل درك الحواس ومعرفتها بممازجها ، وهذا مكابرةُ العقول، ومن كابر العقول وجب أن لا يخاطب ، وما خرج من المعقول وجب إكذابه ، وما وجب إكذابه لم يكن بدين ، وما لم يكن بدين فهو ضد للدين ، وما كان ضد للدين أورث النار ! ..

أسأل الله ، سبحانه ؛ النجاة من النار برحمته والسلامة من الخطأ فى دينه ، والقول عليه بما يخالف كتابه المبين من الجبر والتشبيه وإكذاب الوعد والوعيد ، وإزالة الحق عن معدنه ، والاحتجاج في تقوية إبليس وجنوده ، والتسوية بينه وبين من ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ⑪ ﴾[2] .

* * *

(١) يعتقد المجبرة : أن الله يأمر ولا يريد أن يؤتى أمره . وينهى وهو يريد أن يؤتى نهيه !

(٢) الشورى آية ١١ .

الحجة الثالثة

الله لا يفعل الجور ولا يضل العباد ولا يصدهم عن الرشاد

ومن الحجة لنا فى إبطال مقدرة إبليس ، عليه لعنة الله ، على الخلائق وضعفه وعظيم عجزه ، أن الله ، عز وجل ، لا يفعل الجور ولا الفساد ولا يضل العباد ولا يصدهم عن الرشاد .

فإنه حذرنا عن إبليس ، فى غير موضع من القرآن (الكريم) [1] ، وأمرنا أن لا نفعل كفعله ، من ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) ﴾ [2] .

وأنتم - أيها المخالفون لنا - تشهدون وتعرفون أن أحداً لم يعبد إبليس قط ، ولم يصم ولم يزك (له) [3] ولم يحج ؛ وإنما المعنى فى ذلك يخرج على لغة العرب المعروفة بينهم ، وأن تلك العبادة [4] هى طاعة إبليس فى اتباع هواه ، والميل عن الحق إلى مراده ورضاه ، فسمى ذلك عبادة ، كما تقول العرب : فلان يعبد فلاناً . يعنون أنه يطيعه ويصير إلى أمره وقال الشاعر [5] :

بجيش تظل البلقُ فى حجراتهِ .. ترى الأكم فيه سُجَّداً للحوافر [6]

يعنى أن الأكم مطيعه لحوافر الخيل .

وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ [7] ، والداخل لا يكون ساجداً ، ١٤٣ط / وإنما المعنى فيه ادخلوا الباب مطيعين [8] ؛ فجاز ذلك فى / لغة العرب .

* * *

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) سورة يس آية ٦٠ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) العبادة تعنى الخضوع للإله على وجه العظيم ، والعبودية : انقياد وخضوع ودول واستسلام .

(٥) هو زيد الخيل ، ١ / ٣٥٨ الكامل للمبرد .

(٦) هذا البيت من بحر الطويل ، ومعناه أن حوافر الخيل قد اقتلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت . وانخفضت ، تأويل مشكل القرآن ، ص٤١٧ ، وقد روى (..تضل البلق) فى أغلب كتب اللغة ، انظر الأغانى ١٦ / ٥٢ ، والأضداد ، ص٢٥٧ .

(٧) سورة البقرة آية ٥٨ .

(٨) فى صفوة التفاسير : سجداً : خضعاً متواضعين خاشعين ، شأن التائب من ذنوبه .

من عدل الله خطاب الخلق بما يعقلون ويفهمون :

وليس يجوز فى عـدل الله ، جل ثناؤه ، أن ينهى عن أمر لا يقـدر أحد على دفعه عن نفسه ، ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لا نعـقله ، ولا نقف على كيـفيته ، ولا نهتدى إلى وصفه ، ولا ندرى حتى يقع بنا من ليل أو نهار ، لا فى سفر ولا فى حضر ولا فى بر ولا فى بحر ؛ لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل الحسن الفعل الذى لا يجور ولا يظلم .

* * *

قصة من الإمام أحمد للتقريب والتفهيم :

ثم نقـول لمن خـالفنا : هل يجـوز لرجل من علمـائكم وأهل دينكم وأهل الورع والنصفه والكف عن القبيح منكم ، أن يخرج برجل من إخوانه إلى رأس جبل مرتفع فى الهواء ، ثم يوقفه على حرف الجبل ويرديه الهوى البعيد ، الذى لو زلت فيه الطير لكادت أن تعطب مثلاً !

ثم يقـول له : احذر فلان أن تسقط من هذا الرأس الطويل إلى هذا القرار البعيد فتهلك ، وتقطع قطعة قطعة .

ثم يتحيل عليه ثم يدفره [1] ، فإذا هو فى أسفل الحضيض ، فما يسمى ذلك الرجل أعادل أم غيرها عادل ، أظالم أم غير ظالم ؟!

فإن قلتم : إنه غير ظالم ولا جائر.

خرجتم من حد من يكلم وكفانا جهلكم من مناظرتكم .

وإن قلتم : إنه جائر غير عادل ، وظالم غير منصف .

كان ذلك من الحق ، ولزمكم أن تنزهوا خالقكم العادل الحكيم البر الرحيم ، عن الأوصاف التى تليق بالجورة الظالمين.

* * *

---

(١) دفره : دفعه فى قفاه أو فى صدره .

لا يعقل أن يحذرنا النار ويدس علينا إبليس لنقع فيها:

ونقــول لكم : فهل يجوز - عندكم - على قياس هذا الكلام - ان ينزِّلَ ربكم العظيم الكريم العادل الحكيم على نبيه ، ﷺ [1] ، يحذرنا عن النار ، وعن عمل يقربنا إلى الخلود فيها أبد الأبيد ، فيقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [2] ، ثم يدسُّ عليهم إبليس وجنوده في خفاء ، فيأتونهم من المواضع التي لا يقدرون على الحذر منها ولا الاتقاء لوقوعها ، ولا يدرون ما ينجيهم من ليل أو نهار، فيدخلهم في الخطايا ويأمرهم بها ، ويقدرهم عليها وهو قادر عليهم ، لا حيلة لهم عن دفعه عن أنفسهم ، ولا الحذر عما حُذروا منه .

فهو عند ذلك ؛ إن صح هذا القول هو الذى دفرهم فيجهنم ، كما دفر ذلك الرجل العابد الصالح صاحبه من رأس الجبل إلى الأرض ؛ لا فرق بين ذلك بمقياس شعرة ، فميزوا ما قلنا ، وجانبوا الهوى ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، فإنه لا يجوز على الله، عز وجل ؛ أن ينهى عن أمر ، ثم يوقع فيه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى الرؤوف الرحيم .

* * *

النفس هى التى توسوس لا إبليس:

قال الله، عز وجل: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] ١٤٣ظ/ فتجد النفس هي التى توسوس لا إبليس ، وقال الله ، عز وجل ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ [4] فنجد نفس هذا طوعت له قتل أخيه لا إبليس .

- وقوله ، عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [5] فنجد الأنفس هى الموسوسة .

- وقال ، عز وجل : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [6] فلمْ تجعلوا بعض هذا القول

---

(١) زيادة ليست في الأصل .

(٢) سورة التحريم آية ٦ .. وقد جاءت في الأصل هكذا ﴿ اتقوا النار التى وقودها ﴾ وهو خطأ .

(٣) سورة ق آية ١٦ .

(٤) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٥) سورة المجادلة آية ٨ .

(٦) سورة يوسف آية ٥٣ .

الذى وصف الله ، عز وجل ، عن النفس ، كما جعله ، بل جعلتم ذلك كله من فعل إبليس ، وخالفتم القرآن ؛ لأن الله ، عز وجل ، أخبرنا بعظيم قدرته على الأشياء والقوة الباهرة التى بان بها عن ما خلق ، فقال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾ [1] فزعموا أن إبليس يوسوس فى قلب الآدمى!

* * *

من زعم قرب إبليس كقرب الله منا ساوى بينهما :

فصار إبليس أقرب إليه من حبل الوريد أيضاً !.. فإذاً لا فرق بينه وبين الله ، عز وجل ، فى القوة القاهرة ، والقوة الباهرة .

فإذاً القوم يوجبون من التعظيم والتقويه والعز والسلطان ، لعدوهم إبليس الذليل الضعيف ، مثل ما أوجبوا لله ، عز وجل ، من عظيم القوة والسلطان !.. وهذا غاية ما يكون من الجهل والعمى [2] وقلة النصفة والذهاب عن طريق الحق ، الذى لا يساوى الله ، عز وجل ، فى قدرته وقوته ولطائف صنعه أحد من جميع خلقه ، حاش لله من ذلك وعزّ الله وعلا علواً كبيراً .

* * *

---

(١) سورة ق آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : العما .

الحجة الرابعة

قال السامرى : سولت لى نفسى

ومن الحجة عليهم أيضًا ، إخبار الله ، عز وجل ، عن **السامرى** إذ قال لموسى ، صلى الله عليه : ﴿ كَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) ﴾ [1] ولم يقل وسوس إبليس .

* * *

وجوه تفسير : وشاركهم فى الأموال :

وأما ما ذكر الله ، عز وجل ، فى قوله : ﴿ **وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)** ﴾ [2] ، فقد قالت العلماء فيه بوجهين :

أحدهما : أن هذا على طريق التهدد والتخويف ، مثل ما تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلانا . على طريق التهدد له ، لا أنهم أرادوا قتله !

ومثل قول **أمير المؤمنين على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه ، حيث قال **لطلحة والزبير** : اذهبا اخرجاها . يعنى **عائشة** ؛ يريد بذلك التقريع لهما ، وهو لا يريد خروجهما بها تحاربه ، ولا أن تعصى الله ، عز وجل ، فى خروجها من منزل رسول الله ، ﷺ وعلى آله وسلم ، الذى أمرها ، عز وجل ، أن تقرَّ فيه [3] ، وإنما هذا على حد التوقيف والتقريع ، ومثله كثير فى اللغة [4] .

والوجه الآخر : أنهم إذا زنوا صارت أولادهم أولاد حرام ، وكل حرام مشارك لمعصية إبليس ، وكذلك إذا تعاملوا بالربا صاروا مشاركين لإبليس فى معصيته ، عز وجل .

---

(١) سورة طه آية ٩٦ . (٢) سورة الإسراء آية ٦٤ .

(٣) قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ سورة الاحزاب آية ٣٣ .

(٤) عقد ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » باباً سماه « **باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه** » من ص**٢٧٥** - حتى **٢٩٨** ، ذكر فيه تسعة وعشرين نوعاً من هذه الألفاظ ، أما ما خرج به الإمام أحمد آية الإسراء / ٦٤ ، فقد ذكره ابن قتيبة فقال : « ومنه **أن يأتى الكلام على لفظ الأمر** وهو تهديد ، كقوله : ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** ﴾ سورة فصلت / ٤٠ » ص ٢٨٠ .

إنه الهوى:

وأما قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ ١٤٤و / إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) ﴾ [١] .

ولا يخرج هذا عندنا إلا إنه الهوى [٢] الذى زين لهم وأطغاهم وسوّل لهم وأرداهم ؛ لأنه يلزمهم لنا أن إبليس لم يخرج إليهم مواجهة ، ولم يروه عياناً ؛ لقول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [٣] فقد سقط هذا الوجه .

والوجه الآخر : أن ليس فى قوته ولا مقدرته أنه يوسوس فى صدورهم يوم بدر جميعاً ، وهم عسكر عظيم فى ساعة واحدة ؛ إذ ذلك أمر لا يقدر عليه إلا الله ، عز وجل ، القوى القادر ، هذا وجه قد سقط أيضا [٤] وفسد .

والوجه الثالث : أنه – أى إبليس – لم يرسل إليهم رسولاً يخاطبهم عن نفسه .

والوجه الرابع : أنه لم يكتب إليهم كتاباً يقرؤنه .

فكيف لنا بتصديق من خالفنا ، ونحن نجده ساقط الحجة داحض المقالة نازحاً عن الحق ؛ لأنه لم تصح دعواه ، ولم يخرج – فى واحد من هذه الوجوه التى لا يعرف الناس وصول الأخبار إلا بها ، ولا تَدُلُّ نزل العقول إلا عليها .

* * *

زعم المجبرة أن لإبليس استطاعة على قلوب بنى آدم :

فإن قال قائل : إن الله ، عز وجل ، جعل له الاستطاعة على قلوب بنى آدم ، وجعل لهم الاستطاعة على دفعه عن أنفسهم .

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٨ .

(٢) روى الدارمى فى سننه ٤ ١ / ١٠٣ عن الأوزاعى بسنده أنه قال إبليس لأوليائه : من أى شئ تاتون بنى آدم ؛ فقالوا : من كل شئ . قال : فهل تاتونهم من قبل الاستغفار ؟
فقالوا : هيهات ، ذاك شئ قرن التوحيد ، قال : لابثنّ فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه ، قال : فبثّ فيهم الاهواء .
وكان الشعبى يقول : إنما سمى الهوى ، لانه يهوى بصاحبه ١ / ١٢٠

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧

(٤) فى الأصل : أيضى .

قلنا له : هذا ما لا يجوز على الله ، عز وجل ؛ لأن الله ، عز وجل ، خلق إبليس للعبادة لا للمعصية ، وكلف بنى آدم الطاعة ، وجعل لهم السبيل إليها ؛ ولو كان إبليس يقدر على وسوسة قلوبهم بلطيفة لا يعلمونها ، لم يكن لهم إلى دفع ذلك سبيل؛ لدقته عليهم !

فكيف يدفعون عن أنفسهم أمراً - زعمتم - أنه يدق ويلطف عن فطن الخليقة وأذهانهم ، ثم يعطون الاستطاعة على دفع ما لا تقع عليه الأوهام ، ولا تبلغه الظنون ولا تدركه الحواس؟!..

وما لا تدركه الحواس فلا سبيل لأحد إلى معرفته إلا الله الواحد الذى دلَّ على نفسه معرفته بآثار صنعه الدقيق اللطيف ، فما الفرق بينه وبين من خلقه ؟!

وإن قلتم : الله أقدره على ذلك .

قلنا لكم : فقد خلق إذاً رباً - على قولكم - يساويه فى القدرة والقوة والعز والسلطان وهو أعدى [1] الخلق له ، وقد قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) ﴾[2] !

فلا مخرج لكم من هذه الحجج إلا بالمكابرة والمغالطة والتسوية بين الله ، عز وجل ، وبين إبليس فى القوة والقدرة ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [3].. وزعمتم - أنتم - أن إبليس يحول بين المرء وقلبه ، فلا نجد فرقاً بين الله ، عز وجل، وبين عدوه الذليل الضعيف العاجز المقهور !

فإن قلتم : إن الله أقدره على بذلك .

قلنا لكم : فأين قوله ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ .

فإن قلتم : ليس هو مثله .

قلنا لكم : من كان قادراً كقدره الله ، عز وجل ، فقد ساواه .

---

(١) فى الأصل : أعدا .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(٣) سورة الأنفال آية ٢٤ .

١٤٤ظ/ وأما قول إبليس ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [١] فإنه كذب على الله ، سبحانه ؛ لأنه لم يغوه .

وقال بعض أهل العلم : إنه يخرج على انه سماهُ غاوياً ، فقال : اغويتنى ،أى سميتنى غاوياً [٢] .

فأما ما خاطب الله ، عز وجل ، به إبليس فى بدء الأمر ، يوم عادى [٣] آدم ، فذلك له معانى يخرج عليها ، وقد يذكر بنى آدم وينسب بعض فعلهم إلى بعض ، مثل ما قال لقوم من بنى إسرائيل ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٤] يريد بذلك أباءهم ، وهم [٥] لم يقتلوا ، وإنما أخبر عن أبائهم - عز وجل - فهو مثله سواء. لابدَّ لكم من ذلك .

ولا مخرج لكم منه ، حتى ترجعوا إلى الحق فتقولوا أن ليس أحد من جميع الخلق- لا إبليس ولا غيره - يقدر على وسوسة القلوب ولا تصريفها على مراده ، إلا الله، عز وجل ، لا نظير له ولا مساوٍ ولا مشابه ولا عديل ولا مثيل ، بوجه من الوجوه ، ولا سبب من جميع الأسْباب ، ومن لم يجبنا إلى هذا القول فقد كفر ؛ لأنه إن خالفنا ساوى بينه وبين خلقه !.. وهذا هو الشرك الأعظم والكفر الأفحش الذى لا كفر بعده.

* * *

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩ .

(٢) انظرهذه المادة فى المعجم الوسيط ٢ / ٦٧٣ .

(٣) فى الأصل : عادا .

(٤) سورة البقرة آية ٩١ .

(٥) فى الأصل : هم هم

الحجة الخامسة

المجبرة تروى كثيراً من الأكاذيب عن الجن أو منهم !

ومن الحجة على من خالفنا ، أنا وجدناهم – جميعاً – إذا ذكروا الجن أو حدثوا عن اخبارهم ، لا يحدثون عنهم إلا بكلام نطقوا به ، واخبار اخبروا بها ؛ لا وسوسة– كما ادعوا أنهم يوسوس – فى صدورهم !

– من ذلك ما رووا عن حديث خفاف أيام مبعث النبى ، صلى الله عليه وعلى آله؛ إذ أخبر – على زعمهم – انه كان له صديق" من الجن ، فكان يخبره بمبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله ، وانه كان يأتيه كل ليلة فيركضه برجله ، ويقول : انتبه ياخفاف فقد بعث رجل من بنى عبد مناف ، رجل أتى بالعدل والإنصاف فارحل إليه **ياخفاف** . . !

وهذا خبر يطول ، وفيه اشعار للجن اختصر عامة ذلك ، فمما رووا من شعر الجن– زعموا – هذه الأبيات :

عجبت للجن وإبلاسها ورحلها العيس بأحلاسها

تمضى إلى مكة تبغى الهدى وما مؤمنوا الجن كأرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ واسم بعينيك إلى رأسها [1]

* * *

---

(١) قارن ابا نعيم : دلائل النبوة ، ص ٣١ – ٣٢ .

والحديث بتمامه ،روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال : بينا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قاعد فى المسجد ، إذ مر رجل فى مؤخر المسجد ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، اتعرف هذا المار ؟

قال : هذا سواد بن قارب ، وهو رجل من اهل اليمن ، له فيهم شرف وموضع ، وهو الذى اتاه رئيه بظهور رسول الله ، ﷺ .

فقال عمر : علىْ به ، فدعى . . فقال عمر . . انت سواد بن قارب .

قال : نعم . قال : فانت الذى اتاك رئيك بظهور رسول الله ، ﷺ .

قال : نعم . قال : فانت على ماكنت عليه من كهانتك ؟!

فغضب غضباً شديداً ، وقال يا امير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا احد منذ اسلمت .

فقال عمر : سبحان الله . . والله ما كنا عليه من الشرك اعظم مما كنت عليه من كهانتك ، اخبرنى بإتيانك رئيك بظهور رسول الله ، ﷺ . –

كذب المجبرة على الجن:

وهذه الأحاديث والأشعار، التي ادعوها، توجب المواجهة وتبطل الوسوسة.

وزعموا أن الجن يكلمونهم ويرونهم في مواطن من الأرض معروفة، منها مواضع

= قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رئيي ، فضربني برجله !.

وقال : قم ياسواد بن قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها .. وشدها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى .. ما خير الجن كأنجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم .. واسم بعينيك إلى رأسها

فلم أرفع بقوله رأساً . وقلت : دعني أنام ، فإني أمسيت ناعساً .

فلما أن كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله !

وقال : ألم أقل لك ياسواد بن قارب ؟!! .. قم فافهم واعقل ، - إن كنت تعقل - إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ الجني وجعل يقول :

عجبت للجن وأخبارها .. وشدها العيس بأكوارها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى .. مامؤمنوا الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم .. بين روابيها وأحجارها

فوقع في نفسي حسب الإسلام ورغبت فيه ، فلما أصبحت شددت على راحلتي ، فانطلقت متوجهاً إلى مكة ، فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت أن النبي ، ﷺ ، قد هاجر إلى المدينة ، فأتيت المدينة . فسألت عن النبي ، ﷺ فقيل لي : في المسجد . فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتي ، وإذا رسول الله ، ﷺ ، والناس حوله .فقلت : اسمع مقالتي يارسول الله .

فقال أبو بكر : ادنه ادنه ، فلم يزل بي حتى صرت بين يديه .

قال : هات .. فأخبرني بإتيانك رئيك .

فقلت :

أتاني نجيي بعد هدوء ورقدة .. فلم أكُ فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قولُهُ كل ليلة .. أتاك رسول من لؤى بن غالب

فشمّرْتُ من ذيل الإزار ووسطت .. بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فأشهد أن الله لارب غيره .. وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة .. إلى الله يابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى .. وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة .. سواك ، تغنى عن سواد بن قارب .

قال : ففرح رسول الله ، ﷺ ، وأصحابه بإسلامي فرحاً شديداً ، حتى رؤى في وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر فالتزمه . وقال : كنت أحب أن أسمع هذا منك .

وقد أوردناها ليتبين القارئ بنفسه في أي فن من الفنون نضع هذه الروايات .

انظر أبو نعيم : دلائل النبوة ١ ص١٣٢ ، ١٣٣ .

قد سموها ، وذكروها فى أشعارهم منها ، البدئ وعبقر ودسمار ، وكل هذا – عند ١٤٥و/ أهل العلم – باطل لا يجوز ؛ لقول الله ، عز وجل ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [(١)] وإنما أجرينا هذا لدعواهم / علينا الوسوسة ، وروايتهم فى الجن أنهم يكلمونهم كلاماً ، **فلاندرى أيهما نصدقهم فيه الوسوسة أم الكلام مشافهة ؟!** وهذا ينقض بعضه بعضاً .

* * *

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

الحجة السادسة

إبليس الإنسان هواه

ومن الحجة لنا في الهوى قول الله ، عز وجل : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم (١٤) ﴾[2] ، وقوله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[3] ، وقوله ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) ﴾[4] .

وآيات كثيرة يطول بها الشرح ، **فوجدنا الهوى هو الذى يميل بالأدميين عن الطاعة إلى المعصية** .

* * *

لا أساس لدعوى المجبرة فى الوسوسة :

وضح لنا ذلك ، ولم نجد الوسوسة - التى ادعوا - تصح ، ولا يقوم بها حجة إلا ما تعلقوا به من المتشابه ، الذى له التأويل الذى جهلوه ، وغلطوا فى معانيه ، ولا حجة معهم يقهرون بها من خالفهم ، والحق أوضح من الشمس الطالعة .

وقد ذكرنا من الحجج ما فيه الكفاية - لمن أنصف من نفسه ورجع عن غلطه - والحمد لله رب العالمين .

* * *

احتج المجبرة بما حدث لأيوب :

ومما احتجوا به على أهل العدل ؛ قول الله ، عز وجل ، فى النبى أيوب ، صلى الله عليه ، حيث قال ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ﴾[5] ، وزعموا فى رواياتهم أن الله ، عز وجل ، سلط إبليس على وليه ونبيه أيوب ، عليه السلام ، فأفنى[6]

---

(١) سورة ص : آية ٢٦ .

(٢) سورة محمد آية ١٤ .

(٣) سورة القصص آية ٥٠ .

(٤) سورة النازعات آية ٤٠ .

(٥) سورة ص : آية ٤١ .

(٦) فى الأصل : فافنا .

أمواله، وقتل عياله ، ونفخ في بدنه فأصابه بالعلة التي مرض منها دهراً من دهره ، حتى جرى الدود في لحمه ، وذكروا أن ذلك أصابه لخطيئة عصى الله ، عز وجل، فيها، ورووا في ذلك أحاديث يطول شرحها اختصرناها لمعرفة الناس بها [1].

وزعموا أن إبليس استأذنه في هلاكه ، فقال قد سلطتك على كل شئ إلا على عقله وقلبه !..

وهذا نقض القرآن ، والذى روى **الهادى إلى الحق** [2] ، صلوات الله عليه ، أنه قال : «إن أيوب ، صلوات الله عليه ، كان صاحب قراء وطعام للناس ، وكانت الأضياف تأوى إلى منزله ؛ لفضله وفعاله الجميل ، فلما كان في وقت من ذلك غاب عن منزله ، صلوات الله عليه ؛ ثم غدا راجعاً إلى أهله فلقيه رجل قد غدا من منزل أيوب ، فسأله : من أين خالفه ، وأين بات ؟

فقال : بت في منزل أيوب ، قال : فما كنت وما قرؤك ؟

قال : بت عنده [3] بلا عشاء ، فاغتنم أيوب ، صلى الله عليه ، لذلك، ومضى إلى

---

(١) انظر البخارى ، كتاب «الغسل» ، باب «التستر فى الغسل عند الناس» ١ / ٤٦١ . واحمد فى مسنده ٢ / ٢٤٣ .. ومواضع اخرى .. والطيالسى حديث ٢٤٥٥ . وابن كثير فى تفسير الآية ذكر الاثر كاملاً جـ ٤ / ٤٢ - ٤٣ . وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** (٨٣) ﴾ سورة الانبياء/ ٨٣ - جـ٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى العلوى الرسى : إمام زيدى ولد بالمدينة سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م . وكان يسكن «الفرع» من ارض الحجاز ، مع ابيه واعمامه . ونشا فقيهاً عالماً ورعاً ، فيه شجاعة وبطولة . وصنف كتباً ، منها «الجامع» ويسمى «الإحكام فى الحلال والحرام والسنن والاحكام» و «المسالك فى ذكر الناجى من الفرق والهالك» ، وله رسائل كثيرة .

وراسله **أبو العتاهية الهمدانى** ، وكان من ملوك اليمن ودعاه إلى بلاده ، فقصدها ، ونزل بصعدة سنة ٢٨٣هـ فى فى أيام المعتضد ، وبايعه ابو العتاهية وعشائره وبعض قبائل خولان وبنى الحارث بن كعب وبنى عبد المدان ؛ وخوطب بامير المؤمنين ، وتلقب بالهادى إلى الحق . وفتح نجران ، واقام بها مدة .

وقاتله عمال بنى العباس ، فظفر بعد حروب . وملك صنعاء سنة ٢٨٨ ، وامتد ملكه ، فخطب له بمكة - سبع سنين ، وضربت السكة - باسمه . وفى ايامه ظهر فى اليمن **على بن الفضل القرمطى** ، وتغلب على اكثر بلاد اليمن، وقصد الكعبة سنة ٢٩٨ ليهدمها ، فقاتله الإمام يحيى ، وعاجلته الوفاة بصعدة ، ودفن بجامعها ، وكان قوى الساعد ، يمسك الحنطة بيده فيطحنها ؛ واسم فرسه الذى يقاتل عليه «أبو الجماجم» واكثر من ملك اليمن بعده من ائمة الزيدية هم من ذريته . **ولعلى بن محمد بن عبيد الله العلوى** ، كتاب فى «سيرته» . انظر الزركلى : الاعلام ، ٨/ ١٤١ .

(٣) زيادة بالهامش .

أهله فسألهم عن ذلك الضيف ، ولا مهم ؛ حيث غفلوا عنه وحلف لمرته ، وكانت مرته ، رحمة بنت يوسف بن يعقوب ، صلوات (الله) [1] عليهم ، فحلف ليجلدنها مائة ضربة ، إذ قصرت في ضيفه ، فلما حلف ندم على يمينه ، إذ لم يلزمها ذلك / ١٤٥ط / الأدب الذى حلف لها عليه ، فجعل يقول : قد حلفت بالله لأضربنها ، هل يجوز لى ان احنث ، وقد حلفت بالله ؟!

ثم رجع إلى نفسه فيقول : ليس عليها لى ذنب وهذا أمر لا يلزمها ، فما زال كذلك يدير فكره ويروض أمره ، حتى أورثه ذلك غماً عظيماً داخل قلبه فمن شدة الغم لزمه المرض ، فمرض حتى نغل [2] لحمهُ وجرى فيه الدود ، وضاعت أمواله وتاذى به أهل البلد .

وقد ذكروا ان رجلاً كان يقول لأصحاب أيوب الذين أسلموا معه : لو كان الرجل على حق ودين ما أصابه كل هذا البلاء الذى أصابه ، ويأتى إلى القرية فيحذرهم ، وعن مرته ان تقربهم ، لحال ريحه وشدة مرضه ، فذلك الرجل الذى عنى ، صلوات الله عليه [3] ، حيث قال : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [4] ، فكان ذلك الرجل شيطانه الذى هو من شياطين الإنس .

والدليل على ذلك ان الله ، عز وجل ، اخبرنا فى كتابه انه قال لإبليس ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [5] وايوب ، صلى الله عليه، من خيار عباده الذين أثنى عليهم ، فقال فيه خاصة : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [6] ولو كان أيوب عنى الشيطان الجنى حيث قال ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [7] للزمه انه من الغاوين ؛ وأن [8] لإبليس عليه سلطاناً .

* * *

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) أى تغيرت رائحته وصارت نتنه .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) سورة ص آية ٤١ .

(٥) سورة الحجر آية ٤٢ .

(٦) سورة ص آية ٤٤ .

(٧) سبقت قريباً

(٨) فى الأصل : ولان .

قاعدة القرآن لا يتناقض .. وكل معنى متشابه له تأويل :

والقرآن لا يتناقض ولا يختلف [1] ، وأن لكل معنى من هذا الجنس تأويل يرده إلى الحق والعدل والحكمة والبراءة من التناقض والعيب والفساد .

وقد رووا عن امرأة أيوب ، صلوات الله عليهما ، أنها باعت إحدى ضفير [2] برغيف ، فاتهمها وحلف ليجلدنها مائة جلدة ، **وليس الخبر على ما قالوا** ، وإنما وجه الخبر على ما ذكرنا ، ولذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ **وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** (٤٤) ﴾ [3] .

فكيف يجوز أن يجلدها مائة جلدة ، ولا يقع الجلد إلا من زنا ؟!

وكيف تُتهم طاهرة صديقة بنت نبي ؟! .. وقد قال الله ، عز وجل ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** (٢٦) ﴾ [4] وهذا هو القول ، لا ما قالوا من جهلهم وإسنادهم إلى أولياء الله ، عز وجل ، كل ظلم وكل بليَّة ، لا تحسن في اليهود فضلاً عن غيرهم .

* * *

---

(١) حثنا الإسلام على التفكير والتدبر والتعقل فقال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** .. ﴾ ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ ، ﴿ **إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب** ﴾ ، فكيف ينهانا ، تعالى ، عن الهوى وترك عدم التعقل الفهم ثم تتناقض كلماته ! .. قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** (٨٢) ﴾ النساء ٨٢ .. لقد أمرنا ، تعالى ، بتدبر القرآن وفقه معانيه ومقاصده ومراميه الحكمة العظيمة الجليلة ؛ واليقين أنه لا اضطراب ولا تناقض ولا اختلاف بين آياته ، فالقرآن لا يتعارض ، ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه التناقض والاختلاف وآثار التكلف والصنعة .

ولابد للمسلم من فهم المحكم منه ، ورد المتشابه إلى محكمه ، وسؤال أهل العلم الراسخين في فهمه عند جهل تفسيره وتأويله يروى عنه ، ﷺ ، أنه خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، فكأنما يفقأ في وجهه حبُّ الرمان – من الغضب – فقال لهم : «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم» . قال : فما غبطت – أي الراوي – نفسي بمجلس فيه رسول الله ، ﷺ ، ولم أشهده ، ماغبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده» .

وعن ابن العاصي عن رسول الله ، ﷺ ، قال : «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به، وماتشابه منه فآمنوا به» . ولا يفهم القرآن على وجهه الذي أراده الله إلا أهل العلم والراسخين في تأويله ، قال تعالى : ﴿ **وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ ، قال ابن كثير : أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها ، أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة .

(٢) في الأصل ظفريتها

(٣) سورة ص آية ٤٤ .

(٤) سورة النور آية ٢٦ . وقد ورد في الآية خطأ فاحش في الأصل صححناه

نقد المجبرة فى دعواهم أنه يجرى مجرى الدم

١- ومما احتجوا به **أن إبليس يجرى من الإنسان مجرى الدم** [١] ، وهذا خبر لم يأت فى كتاب ولا سنة ، ولا أجمعت عليه الأمة ، وما ليس فى الكتاب ولا فى السنة ولا فى الإجماع ؛ فهو باطل ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [٢] يعنى من أمور الدين .

وقال : ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [٣] وهذا فلم يخبرنا به الرسول ، ﷺ .

وقال (ﷺ) [٤] : «**لا تجتمع أمتى على ضلالة أبداً**» [٥] .

ومن كان يجرى منا مجرى الدم فكيف نحذره ونتقيه ؟!

وكيف يخرج هذا فى حق العادل الحكيم الذى لا يجور على عباده ؟!

وما نقض العدل ووافق الجبر ، فقد صح فساده بلا شك :

* * *

كذبهم فى أنه ظهر ببدر:

٢- وقد رووا - أيضا - أن إبليس ظهر لقريش يوم بدر [٦] فى صورة **سراقة بن مالك** [٧] **بن جعشم المدلجى** ، حتى كلمهم . وقال : إنى جار لكم من **بنى بكر** حتى لا يخالف على مكة بعدكم .

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ، وهذا الحديث رواه البخارى والدارمى وأحمد بن حنبل فى مسنده فكيف قال الإمام احمد (وهذا خبر لم يأت فى كتاب ولا سنة ؟!) يبدو انه لا يعترف بكتب الحديث التى جمعها أهل الحديث فى عصره من غير اهل البيت او اوليائهم او اتباعهم .. او من غير المعتزلة والزيدية .. لعدم تمحيصهم متن الحديث اتباعاً للمنهج الذى ذكره الإمام احمد من قبل .

(٢) سورة الانعام آية ٣٨ .

(٣) سورة الحشر آية ٧ .

(٤) ليست فى الأصل

(٥) رواه ابن ماجة ٢ / ١٣٠٣ (كتاب الفتن - باب السواد الأعظم) ، وأبو داود فى سننه والدارمى ، والترمذى

(٦) انظر مغازى الواقدى ، ص ٤١ - ٤٣ - ٥٤ ، ٥٥ ؛ وانظر ابن كثير فى التفسير ٢ / ٣٥١ .

(٧) ليست فى الأصل .

فإن كان – هذا الباطل عندكم – حقاً فلا يخلوا ان يكون ما رووه أصح وأصدق من القرآن الذى قاله الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] فلابد من صدق أحد القولين ، وكذب الآخر بحيلة محتال .

* * *

نقد المجبرة فى أن إبليس يتصور فى صور شتى :

وقولهم : إنه تصَوَّرَ فى صورة سراقة . أعظم وأجل – عند أهل العقول والأفهام – لأنه إنما كان يتصور إذاأراد فى صورة ويحوِّل نفسه عن ما أحب من صورته ، فهو قادر قاهر ، إذ كان هذا فعله فى نفسه من نفسه !..

فلا بعد قدرة هذا قدرة ، وقد ساوى الله ، عز وجل ، فى قدرته على الأشياء ، ووجب أنه غير عاجز !

وإن قالوا : إنما الله الذى اقدره على أن يتصور كيف شاء .

قلنا لهم : فما الفرق فى روايتكم فى جبريل ، صلوات الله عليه ، أنه يتصور ، إذا جاء إلى النبى ، صلى الله (عليه) [2] ، فى صورة **دحية الكلبى** [3] ، وأن النبى ، ﷺ سأله أن يريَهُ كيف صورته مع الملائكة فوعده إلى منى [4] ، ثم جاءه ناشراً جناحيه ، حتى سد الأفق وغشى على النبى ، صلوات الله عليهما ، حتى رجع له فى صورة الآدمى ، وأمسك على قلبه ، حتى رجعت إليه نفسه بعد الفزع [5] .

* * *

بين جبريل وإبليس :

فإذا كان الله ، عز وجل ، أقدر وليَّة الكريم عليه – وهو جبريل ، صلوات الله عليه ،

---

(١) قبيلة من قبائل العرب تسكن قريباً من مكة .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) كان سيدنا جبريل ، عليه السلام ، أشبه الناس بدحية الكلبى ، انظر طبقات ابن سعد ج٣١ / القسم الثانى ؛ ص ٥٢ ، والإمام أحمد فى مسنده ؛ ٢ / ١٠٧ – ٣ / ٣٣٤ ؛ والواقدى ؛ ص ٣٦٠ .

(٤) فى الأصل : منا

(٥) رآه النبى ، ﷺ ، على هيئته ، انظر البخارى ؛ ٧ / ٣٦١ (كتاب بدء الخلق ، باب ٧) ومسلم ، كتاب «فضائل الصحابة» ، والترمذى ، واحمد ؛ ١ / ٣٢٢ ، والطيالسى ح ٣٥٨ ، ١٤٠٨ .

على هذه المنزلة الشريفة ، وفضله على غيره ، وأعظم عليه المنة ، لطاعته له وطول عبادته ، وأنه الروح الأمين ، والسفير الذى يجرى بينه وبين رسله ، عليهم السلام، وأنه إنما يتصور فى تلك الصورة لطاعته ومكالمة رسله (عليهم السلام) [1] فى البنية التى يسكنون إليها .

ثم يجعل لإبليس - الملعون - عدوّه الكافر العاصى لأمره المغضب له ، من الدرجة ١٤٦ ط / والفضيلة والرفعة والمنزلة / الشريفة التى يتصور فيها إلى أوليائه الطاهرين ؛ ليضلهم ويغويهم ويعصيه فيهم ، ولا يفعل فيها له طاعة ولا رضاً ، فما الفرق - عندكم - بين جبريل ، صلوات الله عليه ، فى شريف الدرجة وبين إبليس - الملعون - الفاسق عن أمر ربه ؟!

وقال الله ، عز وجل ، في كتابه الصادق ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] !..

والله ، تبارك وتعالى ، أجل وأعظم وأكرم وأحكم وأعدل ، من أن يعطى معجزاته من كذب عليه .

* * *

شبيه بما سبق مقالتهم فى فرعون :

وهذا مثل قولهم فى فرعون أن الله عز وجل ، أرسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف [3] ، فما الفرق بين معجزة موسى ، صلى الله عليه ، فى العصا ، وفلق البحر ، وبين مجرى الماء يسير مع عدو الله فرعون إذا سار ، ويقف له إذا وقف ؟!

وكيف تلزم الأمة حجة موسى دون حجة فرعون ؟!.. وممن يجب أن يكون التخليط أمن الناس أم ممن جعل مع موسى معجزةً ومع فرعون معجزة ؟!.. لايدرى الناس أيهما أحق بالرسالة ؛ لأن كليهما قد جاء بمعجزة باهرة لعقول الخلق - على قود قولهم !

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) سورة ص آية ٢٨ .

(٣) ربما فهموا ذلك - خطأ - من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف ٥١ .

فيا سبحان الله العظيم كيف ذهبوا عن كتابه ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾(١) فأى شئ أوضح من هذا الذى قالوا إفساداً، وأى أبطل منه؟!!.. ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢) ، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٣).

* * *

نقد المجبرة فى أن إبليس يعقد على المؤمن ثلاث عقد:

٣- وقد رووا أن النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ قال «**إن إبليس يأتى أحدكم فيعقده ثلاث عُقد**» (٤) ؛ وهذا من أعجب العجب أن رجلا يعقد ثلاث عقد، أو يعقد عليه ثلاث عقد ، وهو فى ذلك لا يعلم بها ولا يدرى متى عقدت عليه؛ لقليل الحذر من إبليس ، وأن من حذره منه المحذر ، يلزمه أنه حذره من أمر لا يعرفه، ولا يدرى كيف يحذر من يعقد عليه ثلاث عقد !!

وهذا كلام المجانين ، ومن ينبغى أن لا يخاطب لجهله ، أو لحاجته فى المغالطة ١٤٧و/ تنكف عن الرجوع إلى الصواب فيها ، فالله المستعان .

* * *

آيات تخرج على معنى الهوى:

١- وأما قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٥) فهذا يخرج على الهوى ، الذى هو رضاً للشيطان وطاعه له .

---

(١) صورة ص آية ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٠ .

(٤) رواه البخارى ٤ / ٦١ / ٣٨٦ (كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده) حديث (٣٢٦٩) ، ونصه عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ ، قال : «يعقد الشيطان على قافية احدكم - إذا هو نام - ثلاث عُقد، يضرب على كل عُقدة مكانها : عليك ليل طويل ، فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عُقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا اصبح خبيث النفس كسلان» . وكذلك مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، والموطأ ، وأحمد

(٥) سورة المائدة آية ٩١

٢- وقوله ﴿ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [١] فالشيطان لم يعمل الخمر ولا الميسر ولا الأنصاب ولا الأزلام بل كل ذلك عمل بنى آدم ، كماعملوا الطنابير [٢] والملاهى، وقد صح أنه لم يعملها ، وهى منسوبة إلى معصيته .

* * *

العمل غير الوسوسة:

٣- وزعموا أنه يوسوس ، ثم وجدناها هنا عملا أتى عمله ، والعمل غير الوسوسة، ورأينا بنى آدم الذين عملوا الأعمال ، التى هى سخط لله ، عز وجل ، فكيف هذا الأمر وهذا التخليط ؟!.. وإنما المعنى فيه أنه من جنس عمل الشيطان ، كما قال موسى ، صلى الله عليه [٣] .

لأنا لم نجد من عمل هذه الأعمال القبيحة غير بنى آدم ، وأنه لم يعمل الخمر ولاالمعازف ولا غيرها من الباطل ، وكل ذلك عملهم لا يقدر أحد أن يدفعنا عن ذلك من هذا القول ؛ لأنه نظر العيان ، ومكابرة العيان لا تجوز ، ولا إبليس باضرٌ على الإنسان من نفسه ولا من عدوّه من شياطين الإنس الذين صح فعلهم وضررهم .

وعمل إبليس - الذى قالوا - من الدقائق ولطائف الصنع ، إنما هودعوى بلا بينة، والرد عليهم ما قد ذكرناه فى كتابنا هذا ، وفيه الكفاية الشافية ، إن شاء الله .

* * *

---

(١) سورة المائدة آية ٩٠ .

(٢) جمع طنبور : آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار .

(٣) يشير إلى قول موسى ، عليه السلام ، بعد أن قتل القبطى ، آسفاً متحسراً : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ القصص / ١٥ وهو يعلم أن الشيطان لم يشاركه فى قتل القبطى ولم ينفرد دونه بذلك .. وإنما قام به وحده ؛ وإنما قصد أنه عمل من جنس عمل الشيطان .

الحجة السابعة

المقلوب من الكلام

ومن الحجة لنا على من خالفنا وصرف معانى القرآن ، على ما يظن هو ، قول الله ، عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [1] .

فقال القائل : كيف خلق من عجل والعجل منه هو ؟

فعند ذلك يقال له : إن أهل اللغة واللسان العربى يقولون : إن مجاز [2] ذلك مثل قولهم : عرضت الدابة على الماء ، يعنى الماء على الدابة .

ومثل قوله – تعالى ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] ، وإنما الوجه أن تكون العيشة مرضية [4] .

كما تقول العرب للناقة : راحلة ، وإنما هى مرحولة .

* * *

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٧ .

(٢) انظر ابو عبيدة : مجاز القرآن ١ / ٣٨ – ٣٩ (خلق العجل من الإنسان) .

(٣) سورة الحاقة آية ٢١ .

(٤) من باب اطلاق اسم الفاعل ، والمقصود اسم المفعول .

الحجة الثامنة

معنى أن إبليس يشاركنا فى أعمالنا سقوط العدل

١٤٧ط/ ومن الحجة أيضاً قول الله ، عز وجل ، فى ذكر إبليس ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾[١]، وكل معصية لا تجوز فى عدل العادل الحكيم ؛ لأنه لا يأمر بالباطل ولا يقضيه .

وكيف يشارك الشيطان الناس فى الأموال والأولاد ؟ .

فالجواب لهم فى ذلك وبالله نستعين ، أن نقول لهم : إن ذلك جائز فى العربية ، أن يخرج الكلام فى لغة العرب من المتكلم مخرج الأمر ، ومعناه خلاف ذلك ؛ وإنما هذا عندنا – وعند أهل العلم والقول بالعدل – على الوعيد والتهدد ، كنحو قول الرجل للرجل : أجهد جهدك واجهد جهدك . كل ذلك على الوعيد والتهدد .

وقد تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلاناً ، واذهب اضرب فلاناً . على الوعيد له، وهم لا يريدون قتله ولا يحبونه ، ولا يريدون ذلك من الرجل الذى أمروه بفعله ، وهذا معروف فى كلام العرب غيرمنكر ؛ وإنما نزل القرآن على لغة العرب وتصرفها فيما تعرف .

وأما ما ذكره من مشاركة الشيطان فى الأموال والأولاد فإن ذلك ليس – عند أهل العلم – كمشاركة الآدميين ، وإنما هو كنحو قول السحرة لفرعون ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [٢] ، أى اصنع ما أنت صانع ، كل ذلك على التهدد والوعيد .

وأما قوله ، عز وجل ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [٢] في لغة العرب جائز أن يسمى الصانع للشئ قاضياً له [٣] .

قال الشاعر [٤] يصف درعين على رجلين فقال:

---

(١) سورة الأسراء آية ٦٤ . (٢) سورة طه آيه ٧٢ .

(٣) انظر معانى القضاء فى اللغة ، لسان العرب ٢٠/٤٧ ، ومقاييس اللغة ٥/٩٩ . وهى تدور حول الحتم والأمر والإعلام والعمل والفراغ .. وهذا الإمام صاحب الرسالة وآباؤه اهتموا بالتفسير اللغوى للقرآن الكريم اهتماماً بالغاً .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلى .

وعليهما مسرودتان قضاهما داودُ قدرهـا الحكيـم وتُبَّـعُ [1]

أى عملها « داود » .

وأما شركه لهم فى الأموال والأولاد ، فهو أن تؤخذ الأموال بغير حقها ، وأنِ يطاع الشيطان فى ذلك ، بطاعتهم له وفعلهم كفعله ، ومصيرهم إلى رضاه ؛ ومراده منهم؛ لأنه عدوهم وعدو أبيهم من قبلهم ، فصارت طاعتهم ، فيما أراد ، سبباً للشركة فى أولادهم وأموالهم .

ورووا عن جريح عن مجاهد فى قوله : ﴿ **وشاركهم فى الأموال والأولاد** ﴾ ، قال ما أكل من مالٍ بغير طاعة الله ، وأولاد الزنا [2] .

* * *

---

(١) البيت فى ديوانه ، ص ١٩ ، وفى لسان العرب لابن منظور ؛ ٤ / ٣٧٩ ، ١٠ / ٧٧ وجاء فى شطره الثانى هكذا . .
(داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ) وفى اللسان : سمع أن داود ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، كان سخر له الحديد ، فكان يصنع منه ما أراد ؛ وسمع أن تبعاً عملها ، وكان تبع امربعملها ولم يصنعها بيده ، لانه كان اعظم شاناً من ان يصنع بيده . والتبابعة : ملوك اليمن واحدهم تبع ، سموا بذلك ؛ لانه يتبع بعضهم بعضاً ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً فى مثل سيرته » .

(٢) جاء فى تفسير ابن كثير ؛ ٣ / ٥٦ ، ٥٧ : «قال **ابن عباس ومجاهد** : ما هو ما امرهم به من انفاق الاموال فى معاصى الله ، وقال **عطاء** : هو الربا ، وقال **الحسن** : هو جمعها من خبيث وانفاقها فى حرام ،. وكذا قال **قتادة** .

وقال **العوفى عن ابن عباس** رضى الله عنهما : اما مشاركته إياهم فى اموالهم فهو ما حرموه من انعامهم ، يعنى من البحائر والسوائب ونحوها ، وكذلك قال **الضحاك وقتادة** ، وقال **ابن جرير** : والاولى ان يقال : إن الآية تعم ذلك كله ،وقوله : ﴿ والاولاد ﴾ قال العونى عن ابن عباس ومجاهد **والضحاك** : يعنى اولاد الزنا . وقال **على بن أبى طلحة عن ابن عباس** : هو ماكانوا قتلوه من اولادهم سفاً بغير علم ،.

قال **قتادة عن الحسن البصرى** : قد - والله - شاركهم فى الأموال والاولاد مجسوا وهودوا وصبغوا على غير صبغة الإسلام وجزءوا اموالهم جزءً للشيطان ؛ وكذا قال قتادة سواء .

وقال **أبو صالح عن ابن عباس** : هو تسميتهم اولادهم عبد **الحارس وعبد الشمس وعبد فلان** . قال ابن جرير : واولى الاقوال بالصواب ، ان يقال : كل مولود ولدته انثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله ، او بإدخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله او بالزنا بامه او بقتله ، او وأده ، او غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بفعله به اوفيه ، فقد دخل فى مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له او منه ؛ لان الله لم يخصص ، بقوله : ﴿ **وشاركهم فى الأموال والأولاد** ﴾ **معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أو به** او اطيع الشيطان فيه او به فهو مشاركة .

وهذا الذى قاله متجه ، وكل من السلف رحمهم الله فسَّر بعض المشاركة فقد ثبت فى صحيح مسلم عن عياض ابن حماد ان رسول الله ، ﷺ ، قال : « يقول الله ، عز وجل ، إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم » .

وفى الصحيحين ان رسول الله ﷺ ، قال : « لو ان احدهم إذا اراد ان ياتى اهله ، قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابداً » .

قاعدة: اعرضوا السنة على الكتاب:

١٤٨و/ وأما ما رووا من الأحاديث فى الشيطان ، وما أكثروا الرواية فى ذلك عن النبى ، ﷺ ، وغيره **فما أمكن التأويل فى القرآن ، كان التأويل فى الأحاديث أجدر وأحرى، وليس كل حديث روى يجب أنه حق ، لما قد عرفنا من كذب كثير من الأحاديث مما يبطله القرآن .**

وقد قال ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم : **«ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق الكتاب فهو منى ، وأنا قلته ، وما خالف الكتاب ، فليس منى ولم أقله»**[1] .

وليس ينكر أن الشياطين تقارب الناس فى اسباب تدنوا منهم فى مواضع ولا سيما مع الفساق الفجار ؛ لأنهم من حيث لا يرونهم .

* * *

(١) روى الدارمى بسنده عن أبى هريرة ، قال : كان إذا حدث عن رسول الله ، ﷺ ، يقول : قال رسول الله ، ﷺ : «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». فكان ابن عباس إذاحدّث قال : «إذا سمعتمونى احدّث عن رسول الله، ﷺ ، فلم تجدوه فى كتاب الله ، او حسناً عند الناس فاعلموا انى قد كذبت عليه» ١ / ١٥٤ .

الحجة التاسعة

نقد المجبرة فى زعمهم إن الاستطاعة مع الفعل

ومن الحجة على أهل الجبر والقول بالاستطاعة مع الفعل ، ان يقال لهم : أليس أول الخلق آدم ، عليه السلام ، وأول من خالفه وعصى الله ، عز وجل ، فيه إبليس - الملعون ؟!

فإذا قالوا : بلى [1] .

قلنا لهم : فهل أمر الله ، عز وجل ، آدم بترك الشجرة [2] ، وقد علم أنه قادر على تركها ، أم علم أنه ليس بقادرٍ على تركها ؟ . .

فإن قالوا : علم الله ، عز وجل ؛ ان آدم لا يقدر على ترك الشجرة .

قلنا له : فهو إذاً قد كلفه ما لا يطيق ! . .

وقد قال الله ، عز وجل ، فى كتابه ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [3] و﴿ **إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [4] وهذا خارج من الحكمة والعدل ان يأمر بترك ما لا يقدر على تركه ، فقد بطل هذا الوجه وصح فساده .

وإن قالوا : إن الله ، عز وجل ، **أمر آدم بترك الشجرة ، وقد علم أنه يقدر على تركها** .

بطل ما اعتقدوا من الجبر ، ورجعوا عن قولهم ، وصار القول قولنا بالعدل ، ولزمهم ان كل شئ جاء من بعد آدم ، عليه السلام ، يجرى على ما قد خرج فى هذا الباب ، وأن كل جبر قالوا به يبطل كما بطل هذا .

* * *

---

(١) فى الأصل : بلا .

(٢) قال تعالى آمراً عبده ورسوله آدم ، عليه السلام ، وزوجه حواء : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)** ﴾ البقرة ٣٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق آية ٧ .

وكذلك أمر الله إبليس بما يقدر على فعله فعصاه :

وكذلك إبليس نقول فيه : اليس قد أمر الله ، عز وجل ، إبليس بالسجود لآدم[1]؟

فإن قالوا : بلى :

قلنا لهم : هل امره بما يعلم أنه يقدر عليه ، أو بما علم أنه لن يقدر عليه ؟!.

فإن قالوا : أمره بما علم أنه لا يقدر عليه .

أكذبوا القرآن وردوا عليه قوله ، عز وجل ، ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [2] ، و﴿ **إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [3] ، وإبليس مأمور منهى ، وهذا خارج من العدل والحكمة ، ولزم فيه ما لزم فى آدم ، عليه السلام .

وإن قالوا : بل علم الله ، عز وجل ، انه قادر على السجود .

رجعوا عن قولهم ، وصاروا إلى قولنا بالعدل ، وبطلت دعواهم فى جميع الجبر .

* * *

الاستطاعة قبل الفعل :

ولزمهم - أيضا - فى هذا الباب أن الاستطاعة قبل الفعل [4] ؛ لأن الله عز وجل ، ١٤٨ط/ فى / عدله وحكمته لا يكلف نفساً إلاما آتاها ، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله .

---

(١) هناك اجتهاد فى مفهوم السجود هل كان لآدم ، ام لله شكراً على خلقه آدم بعد ان جادل الملائكة ربهم فى امر خلقه - وقد علموا ما سيكون منه ومن ذريته - فجاء هذا السجود خضوعاً وطاعة وامتثالاً لأمر ربهم - وإعلاناً منهم ان له ان يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء لا شريك له فى خلقه ولا أمره فعصى إبليس امر ربه بالسجود له - ظناً منه أنه ميَّز من هو اقل شاناً عليه !.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (٣) سورة الطلاق آية ٧ .

(٤) انظر القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ؛ ص ٣٩٠ وما بعدها . قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ آل عمران / ٩٧ .. هذا فى الحج . وقال : ﴿ **فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ﴾ المجادلة / ٤ . وهذا فى كفارة الايمان من الظهار .. وقال : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧)** ﴾ الاعراف / ١٩٧ .. ولو استطاعوا لنصروهم ؛ وقال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ الانفال / ٦٠ . وهذا فى الجهاد فإعداد العدة قبل القيام بمنابذة الأعداء ومواجهتهم وغير ذلك كثير .. فالاستطاعة قبل الفعل ، وهى عرض يحل فى النفس يستشعر به المرء قدرته على القيام بفعل دون غيره .

لقد أعطى الله آدم استطاعة يقدر بها على الفعل :

فإن قالوا : قال مخالفونا : إنه أمر آدم بترك أكل الشجرة من قبل أن يعطيه الاستطاعة التى يقدر بها على الترك ، لزمهم أنه قد أمره بأمر هو خارج من طاقته ، وأنه قد كلفه (ما ليس فى)[1] وسعة ، وانتقض قوله : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [2] ، و ﴿ **إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [3] .

ولزمهم أنه قد دانوا بإبطال القرآن ، وهو حجة الله التى لا ترد ولا تبطل ، وإن قالوا : **إنه أمره بترك الشجرة (و)[4] ركّب فيه الاستطاعة قبل الفعل .**

رجعوا إلى القول بالعدل ، وكذلك يلزمهم فى إبليس قبل ذلك سواء سواء[5] .

* * *

وكذلك أعطى الله إبليس استطاعة :

فنقول لهم : أخبرونا هل أمر الله ، عز وجل ، إبليس بالسجود لآدم وهو قادر على السجود ، أم أمره بالسجود لآدم وهو لا يقدر على السجود ؟!

فإن قلتم : أمره بالسجود لآدم وهو لا يقدر عليه .

الزمتم الله ، عز وجل ؛ أنه كلف غير الطاقة وخرج فى ذلك من العدل والحكمة ، ولزم إبطال كتابه ؛ إذ يقول سبحانه ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [2] ، و﴿ **إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [3]، وهذا كفر من قائله ، وهلك عند الله، عز وجل ، من دان به ، وافتضح – عند السامعين – من اعتقده .

وإن قلتم : إنه ، عز وجل ، أمر إبليس بالسجود لآدم ، وهو يعلم أنه قادر على ما أمره به .

---

(١) زيادة ليست فى الأصل

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٣) سورة الطلاق آية ٧ .

(٤) زيادة ليست فى الأصل .

(٥) تركيب لغوى كان معروفاً فى هذا العصر ويقابله فى عصرنا ما اشتهر على السنة الناس : « سواء بسواء » . . أو « مثلاً بمثل » والمقصود تساوى الشيئين وتماثلهما فى الفعل أو تطابقهما فى الوصف .

لزمكم أنكم قد رجعتم عن قولكم ، وصرتم إلى قولنا بالعدل ، وأن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وهذا يلزمكم فى جميع الأمور كلها ، التى هى من هذا الجنس من بعد آدم، عليه السلام ، ومن بعد إبليس ، فهو لازم فى جميع ما ادعيتم من الجور ، والقول بالاستطاعة مع الفعل إلى يوم القيامة ، وهما كانا أول من أُمر ونُهى ، فما لزم فيهما ، لزم فيما يأتى بعدهما إلى يوم القيامة .

وهذا أصل قوى فاثبت عليه ، وخذهم به وضيِّق عليهم ؛ فإنهم لامخرج لهم منه أبداً ؛ لأن الحق لا يُغلب ولا تبطل حججه ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

ذهبت المجبرة إلى أن الشيطان سبب كفر الإنسان

ومما يحتجون به قول الله ، عز وجل ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) ﴾ [١] .

لهذا يخرج على ثلاث معان :–

١- واحد منها : أنه يجوز أنه عنى [٢] شيطان الجن ، وماكان من خديعته لآدم ، عليه السلام ،

٢- والآخر : أنه يجوز أن يكون شيطان الإنس أيضا .

٣- والثالث : الهوى وهو أشرها على بني آدم [٣] .

* * *

الأمثال فى القرآن ومقاصدها :

١٤٩و/ وقد قال ، عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ [٤] فأخبر أنه قد ضرب أمثالاً لا يعقلها إلا أهل العلم بها [٥] ، وليس يجوز قولهم فى الوسوسة على أحد له أدنى عقل ، إذ لا حجة معهم توجب قبول ذلك ممن [٦] خالفهم . والدليل على الخلق الاضطرار إلى قبوله ، وليس معهم فى الوسوسة حجة تضطر أحداً إلى قبولها ، فافهم هذا الباب وأحسن فيه النظر ، إن شاء الله .

* * *

---

(١) سورة الحشر : آية ١٦ .	(٢) فى الأصل : عنا .

(٣) يقول الزمخشرى : « كمثل الشيطان » إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة ، والمراد استغواؤه قريشاً يوم بدر ، وقوله لهم : ﴿ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ ﴾ الانفال / ٤٨ – انظر الكشاف ، ٤ / ٥٠٧ . أما تفسير تنوير المقباس فقد ذكرانه ﴿ كمثل الشيطان ﴾ مثل المنافقين مع بنى قريظة حيث خذلوهم أو كمثل الشيطان مع الراهب ، ص ٤٦٥ .. وبذلك فسرها ابن كثير ٤ / ٣٦٠ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

(٥) يقول ابن كثير فى تفسيرها : « أى وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون فى العلم المتضلعون منه » ، وروى أحمد فى مسنده بسنده إلى عمرو بن العاصى ، رضى الله عنه ، قال : عقلت عن رسول الله ، ﷺ ، الف مثل .. وعنه قال : « ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزننى ، لأنى سمعت الله ، تعالى ، يقول :﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ ، ٣ / ٤٥٦ .

(٦) فى الأصل : مما .

تزعم المجبرة أن إبليس قادر على نسيان الإنسان :

ومما يحتجون به فى تقوية إبليس الضعيف - عليه لعنة الله - وتعظيم قدرته على وسوسة قلوب بنى آدم ، إذ زادوا - مع الوسوسة - انه **يقدرأن ينسى** الخلق عن شؤنهم ويذهلهم عن حوائجهم ، حتى ينسوا ما يحتاجون إليه ، ويذهلوا عن ما لا غنى بهم عنه !

* * *

يجب النظر والتأويل وتنزيه القرآن عن التناقض :

واحتجوا بقوله ، جل ثناؤه ، فى ذلك بقصة موسى ، عليه السلام ، وفتاه إذ قال : **﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾** [1] **فهذا قول يحتاج إلى جودة النظر ، وتنزيه القرآن عن الاختلاف** والتناقض .

ونحن نقول - لمن خالفنا :

أليس قد قال **الله** ، عز وجل : **﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) ﴾** [2] ؟! ..

* * *

شيطان الإنسان نفسه وهواه :

فأى سلطان أقوى من أنه يقدر أنما ينسى الصالحين الطاهرين عن مصالحهم ومر أفقهم ، مع ما أدعيتم له من القدرة على الوسوسة [3] !.، وهذا ما لا يجوز ؛لأنه قد

---

(١) سورة الكهف آية ٦٣ ... ولابن مسعود فى هذه الآية قرآه هى ﴿ .. اذكركه ﴾ . (٢) سورة الإسراء آية ٦٥ .

(٣) وتامل ما يلى :

١- قال تعالى : **﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾** سورة يوسف ٤٢ ، يقول ابن كثير : فنسى الموصى ان يذكر مولاه الملك بذلك ، وكان من جملة مكائد الشيطان لعلا يطلع نبى الله من السجن ، هذا هو الصواب ان الضمير فى قوله ﴿ فانساه .. ﴾ عائد على الناجى ، كماقاله **مجاهد ومحمد بن إسحاق** وغير واحد .

ويقال : إن الضمير عائد على **يوسف** ، **عليه السلام** ، رواه **ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا** ، وعكرمة وغير واحد ؛ ٢/٥٢٦ .

وهذا الاتجاه يسلم ان للشيطان قدرة على ان ينسى الإنسان ، وهو كلام فى منتهى الخطورة ، لانه يهدم التوحيد ، ويلزمهم تناقض آيات الله ،فقد نسبوا للشيطان قدرة مساوية لخالقه على الفعل ، وهو باطل شرعاً وعقلاً .

٢- وقال تعالى : **﴿ . وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) ﴾** سورة الأنعام ٦٨ .. انظر ابن كثير ٢ / ١٦١

جاء فى الأخبار ان موسى وفتاه ، عليهما السلام ، إنماكان خبرهما ان شيطاناً من شياطين بنى آدم ، أراد قتلهام ، واغرى الظالمين ، فلزمهما خوفه ان ينسيا حوتهما .

فهذا الذى جاء به الأخبار ، وليس لإبليس - ولا كرامة - قدرة يقوى بها على ان يوسوس فى الصدر ، وينسى الأمور ؛ لان هذه القدرة لا يقدر عليها إلا اللطيف الخبير .

والدليل على ذلك قوله ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) ﴾[1] فقد نسب لله ، عز وجل ، الوسوسة إلى النفوس ، فى هذا الموضع ، فلمَ جعلتم كل ذلك إلى إبليس دون ما ذكر الله ، عز وجل ، الا قلتم : إن بعض ذلك من النفس وبعضه من إبليس !!..

وليس باعجب من ترككم لشياطين بنى آدم ان تضيفوا إليهم من افعالهم شعرة واحدة!..

فإذا كان الله ، عز وجل ، اقرب إلى عبده من حبل الوريد ، واخبرنا بذلك ، دلالة منه لنا ١٤٩ ط/ على وحدانيته وعظيم قدرته وعلو شانه ، ولطائفه التى لا يقدر عليها احدٌ غيره/ ثم جعلتم لإبليس الذليل الضعيف من القرب إلى العباد مثل قرب رب العالمين !!

* * *

ما الفرق بين القدرتين فى زعمكم ؟

وإبليس - على قولكم - اقربُ فى الوسوسة إلى قلوبنا من حبل الوريد والله ، عز وجل ، اقرب إلى قلوبنا من حبل الوريد ، فما الفرق بين القدرتين ، وما الفصل بين المنزلتين ،وما فضل الواحد القادر على العبد الضعيف الكافر ؟!.. بقوم جعلوا لإبليس هذه المنزلة وناظروا عليها ، ولا سيما من ادعى أنه موحد غير ملحد وكان اعتقاده - زعم - الذى يدين بهانه

- ٣- وقال تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ سورة المجادلة ١٩ ، يقول ابن كثير : «اى استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى انساهم ان يذكروا الله ، عز وجل ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال ابوداود : بسنده عن ابى الدرداء قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :«ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لاتقام فيهم الصلاة ، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة ، فإنما ياكل الذئب من الغنم القاصية» ٤ / ٣٤٦ .

والصواب فى هذه الآيات ما قاله الإمام احمد ، إذ إن الشيطان انساهم لما فعلوا كفعله ووافق مرادهم ، او هذه الشياطين من الإنس الذين يوافقونهم على هواهم ، او ان هذا الشيطان هو المهول عن الحق واتباع الهوى والنفس ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ سورة يوسف آية ٥٣ ، والله اعلم .

(١) سورة ق آية ١٦ .

الله ، عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. ﴾ [1] افليس قولكم هذا يوجب انمثله شئ ، سبحان الله العظيم !..

ما اقبح هذا من قول ، واضل قائله عن التوحيد ، واميله عن الطريق ، فالله المستعان .

* * *

ماتقوله المجبرة قدح فى التوحيد :

فكذلك يلزم من قال بالعدل ؛ ثم زعم ان الله سلط إبليس على خلقه ، فقد رجع عن الحق وانتقض قوله .

وللقرآن العظيم معانى جهلها اكثر الناس وغلطوا فى تاويلها ، مثل قولهم ان فى الجن أنبياء منهم مرسلين إليهم .

واحتجوا بقوله ، عز وجل ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [2] فذهبوا إلى ان الرسل من الفريقين جميعاً .

* * *

الرسل لا تكون إلا من الإنس :

وقد قال فى ذلك اهل العلم والتاويل ، ليست إلامن الإنس خاصة ، وشاهد ذلك ان آخر الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله عليه ، وهو خاتم النبيين من الله ، عز وجل ، قد اعلمنا انه رسول إلى الجن ، حيث قال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) ﴾ [3] .

فهذا يدل على إقرارهم بنبوة موسى ومحمد ، صلى الله عليهما ، وأنهما لهم نبيان ،

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

(٢) سورة الانعام آية ١٣٠ .

(٣) سورة الاحقاف الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

ولم يذكر أن لهم نبياً من أنفسهم ، قوله ، عز وجل : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ **يجوز في لغة العرب . التي يخاطب بها الجميع بالشئ الذي هو في البعض دون الكل**[1] .

ومثل ذلك أنه لو كانت رجال **عدنان وقحطان** مجتمعة جميعاً في موضع واحد ، وهم ١٥٠و/ العرب المعروفون بالعربية ، / فقال لهم رجل من الهند أو من الروم أو من غيرهم : يامعشر العرب أليس محمد ، ﷺ ، منكم ؟.. جاز لهم أن يقولوا : نعم ، محمد منا . إذ هم العرب ، وقد علموا أنه من مُضر خاصة دون سائر القبائل .

ومن الحجة أيضا قول الله ، عز وجل ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾[2] ، وقد علمت العرب والعجم أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرج إلا من أحد البحرين دون الآخر[3] ؛ وقد قال الله ، عز وجل ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾[4] ، وليس يخرج ذلك إلا من أحدهما دون الآخر . فافهم هذا الباب ، إن شاء الله .

* * *

جَعْلُ حكم وتسمية :

وأما قوله – عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] ، فهذا جعل حكم وتسمية لا جعل جبر ، وقد قال الله ، عز وجل ، في قصة إبراهيم ، ﷺ ، حيث قال : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾[6] .

فقال القائل : أليس هو الآن وليا للشيطان ؟!

قلنا : بلى ، ولكنه عنى به أن يكون قريناً له في نار جهنم .

* * *

---

(١) عقد ابن قتيبة باباً سماه « مخالفة ظاهر اللفظ معناه » ، ص٢٧٥ ، وما بعدها .. ذكر فيه : « ومنه أن يجتمع شيئان ، ولاحدهما فعلٌ فيجعل الفعل لهما : كقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ سورة الكهف / ٦١ ، وقوله . ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ .. ﴾ سورة الانعام / ١٣٠ ، والرسل من الإنس دون الجن ، ص٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) سورة الرحمن الآيات من ١٩ : ٢٢ .

(٣) انظر ابن قتية : تأويل مشكل القرآن ، ص٢٨٧ ، وابن فارس : الصحابى ؛ ص٣٦١ .

(٤) سورة الرحمن آية ٢١ .

(٥) سورة الاعراف آية ٢٧ .

(٦) سورة مريم آية ٤٥

الإنس تفعل فعل إبليس وتعصى الله كعصيانه :

وما احتجوا به قول الله ، عز وجل ، يخبر عن إبليس يوم القيامة حيث قال : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)** ﴾ (١) .

وقد يخرج هذا القول (٢) ، والله أعلم ، انه عنى بذلك من مال إلى المعاصى والخطايا كميله وفعل كفعله ، ومثل ذلك قول الله ، عز وجل ، فى قوم من بنى إسرائيل حيث خاطبهم بفعل غيرهم ؛ ﴿ **فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ** ﴾ (٣) ، وهم لم يقتلوا انبياء الله ، وإنما الذين قتلوهم اباؤهم ، وكانوا راضين بفعل ابائهم ، فالزمهم ، عز وجل ، مارضوا به وصاروا إليه ، من اتباعهم لآبائهم على سنتهم وكفرهم ، فسماهم قاتلين للأنبياء ، صلى الله عليهم، وهم لم يقتلوهم فعلا .

هذا يخرج قول إبليس لهم إذ كانوا على سنته ومنهاجه وطاعته فى مراده . **وهذا يخرج على التوقيف لهم والتقريع .**

وأما قوله : ﴿ **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ** ﴾ (٤) فهذا على انه عنى بذلك آدم وحواء ، عليهم السلام ؛ إذ شاركاه فيما حكى الله ، عز وجل ، عنهما إذ قال ﴿ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾ (٥) ، الا ترى إلى قوله : ﴿ **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ** ﴾ (٦) فهذا يخرج على ما ذكرت (٧) لك .

فافهمه ، أرشدك الله ووفقك .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٢) يذكر ابن قتيبة أن ما يحدث من الشيطان للإنسان يحدث بالدعاء والوسوسة . ١ /٣٤٨ - ٣٤٩ ، وهو يصح إن توجه لشياطين الإنس .

(٣) سورة البقرة آية ٩١ .

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٠

قال « المفسرون » في قوله عز وجل : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)** ﴾ سورة الأعراف ١٨٩ .

إن « حواء » لما اثقلت أتاها « إبليس » فى صورة رجل ، فقال لها : ما هذا الذى في بطنك ؟ وذلك أول حملها ، فقالت : ما أدرى .

=

زعمت المجبرة أن لكل إنسان شيطان يغويه :

وقد ادعى من ادعى من مخالفينا ان لكل إنسان من بنى آدم شيطان يغويه موكّل به[1]، لما انكرنا عليهم أن إبليس يذل ويقل ويضعف ، عن ما ادعوا من إغوائه للخلائق فى البر والبحر والشرق والغرب ، فقالوا : إنما له اعوان يغوون له الناس !

وقد أجمع معنا ، من تكلم فى هذا الباب من اهل القول بالعدل ، **أن الجن خلقوا ضربة واحدة ويموتون ضربة واحدة** . فلزمهم ها هنا أن من مات من بنى آدم فقد بقى شيطانه بلا شغل ولا عمل ! . .

وقد زعموا ان لكل إنسان شيطاناً لابد منه ، وليس كذلك اخبرنا الله ، عز وجل ، انه خلقهم ، وإنما اخبرنا انه خلقهم للعبادة لا للمعصية ؛ فاوجب من خالفنا ان ليس لهم عمل إلا الإغواء ! . .

= فقال لها : ارايت إن دعوت ربى فولدته إنساناً اتسمينه بى ؟
فقالت نعم
وقالت هى وآدم : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .
اى : لئن خلقته بشراً مثلنا ولم تجعله بهيمة . فلما ولدته آتاها «إبليس» ليسالها الوفاء ، فقالت : ما اسمك ؟
قال : «الحارث» ، فتسمى بغير اسمه ، ولو تسمى باسمه لعرفته ، فسمته «عبد الحارث» ، فعاش اياماً ثم مات ، فقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ الاعراف ١٩٠ .
وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعقد . . وقال الطبرى : فى «الاسم لا فى العبادة» . . انظر ابن قتيبة ، ص٢٥٨ ، ٢٥٩، والطبرى التفسير ؛ ٩ / ١٠١ .

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٧) ذكر ابن قتيبة فى كتابه «تاويل مشكل القرآن» ، ص ٢٥٦ ، وما بعدها باباً فى «الكناية والتعريض» قال فيه : «الكنايةُ انواع، ولها مواضع ، فمنها ان تكنى عن اسم الرجل بالابوة ؛ ليزيد فى الدلالة عليه إذا انت راسلته او كتبته إليه ؛ إذ كانت الاسماء قد تتفق . او لتعظيمه فى المخاطبة بالكنية ، لانها تدل على الحنكة ، وتخبر عن الاكتهال» .

(١) روى مسلم عن ابى سفيان عن جابر قال سمعت النبى ، ﷺ ، يقول : «إن الشيطان قد آيس ان يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم» ، ١٧ / ١٥٦ ؛ وكذلك رواه احمد والترمذى ، انظر السيوطى : الجامع الصغير ؛ ١ / ٨٢

وعن جابر قال سمعت النبى ، ﷺ ، يقول : «إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فاعظمهم عنده اعظمهم فتنة» .

وعن جابر ايضا قال : قال رسول الله ﷺ يقول: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة . يجئ احدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، قال : ثم يجئ احدهم فيقول : ماتركته حتى فرقت بينه وبين امراته قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم انت ، قال الاعمش : آراه قال : فيلتزمه» .

وروى كذلك انه سمع النبى ، ﷺ ، يقول : «يبعث الشيطان سراياه فيفتنون الناس ، فاعظمهم عنده منزلة اعظمهم فتنة» .

فقد لزمهم أن من مات بقى شيطان بلا شغل ، وأن من كان يوسوسه وينال من قلبه ، مثل قدرة رب العالمين ، قد مات وفرغ وبقى بلا شغل ، وهذا فساد ولا يجوز .

ونحن من بعد هذا كله نقول لهم إن جاءوا بحجة قاهرة ودلالة باهرة ، تشهد عليها عقولنا ، وعقول من سمعها من غيرنا ، سلمنا لهم .

وإن لم يأتوا بحجة توجب لهم علينا أن لإبليس اللعين الذليل الضعيف ، قدرة أقدره الله، عز وجل ، كقدرته هو – تبارك وتعالى – الذى لا يقدر على مثل قدرته أحد غيره ، فالقول قولنا والحق معنا دونهم ، وليس قولنا هذا لشك داخلنا ، ولا يجوز أنهم يأتون بحجة[1] .

***

منهج الإمام أحمد فى الإنصاف كمنهج الإمام على ، كرم الله وجهه :

وإنما قلنا هذا من طريق الإنصاف ، كقول أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه ، إذ غلبته أصحابه ومالوا إلى تحكيم الحكمين ، فلما عزموا على ذلك، وهو له كاره ، قال : فأما إذا عزمتم على إسالهما فيذهبا فيحكما بكتاب الله ، عز وجل ، فإن وجدا **معاوية** فى القرآن أولى بالمقام منى فليسلما له ، وإن وجدانى فى القرآن أولى من **معاوية** فليسلما لى .

فاحتج عليه **الخوارج** [2] بهذا الكلام ، وقالوا : قد شككت فى نفسك فنحن فيك أشد شكاً .

---

(١) روى مسلم كذلك فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال ؛ قال : رسول الله ، ﷺ ، : «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير» .

وقد علقنا على هذه الأحاديث فى الدراسة .. وبينا معانيها من حيث الحقيقة والتأويل ، ومن حيث العقيدة والخرافات الشعبية أو الأساطير والروايات الموروثة .

(٢) **الخوارج** : فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وهم سبع : **المحكمية والبيهسية والأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية والعجاردة** .

ومن عقائدهم تكفير مخالفيهم من أهل القبلة ، ومواراتهم وقتالهم وغنيمة أموالهم حلال .

كما قالوا بتكفير الرعية إن كفر إمامها ، الغائب منهم والشاهد وأوجبوا قتاله ، وتوقيع الحد عليه ، وعلى من رضى بحكمه ، أو طعن فى دين الخوارج ، أو صار دليلاً للسلطان . وجوزوا التقية فى القول والعمل ، والتوقف فى دار التقية فلا يقاتل أهلها حتى يدعوا إلى دين الخوارج ، فإن امتنعوا قوتلوا .

وعدوا خروجهم من ديار أهل القبلة هجرة ، وأنها فرض وفضيلة ، وتبرأوا ممن يرجع من دار الهجرة إلى القعود ، وجوزوا قتل القاعدين عن حرب الذين كفروهم .

فقال لهم ، صلوات الله عليه : إنما قلت هذا من طريق الإنصاف . وقد قال الله ، عز وجل ، لنبيه ، الله ؛ ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) ﴾ [١] .

وقد علم ، صلوات الله عليه ، انهم لا ياتون بكتاب اهدى من كتابه ابداً ، وإنما ١٥١و/هذا لحد الإنصاف .

فافهم / ما شرحنا لك ؛ من الاحتجاج فاعمل فيه نظرك .

واعلم أن ليس مع أحد من الخلق حجة قاطعة ، يلزمنا بها إيجاب قدرة إبليس على الوسوسة فى صدور الخليقة ، ولا يقع على كيفية ذلك ولا على تحديده وتوصيفه أحد أبداً [٢] .

إلا الدعوى التى لا تقوم ولا تقع عليها الأوهام ، بل تشهد عليهم بالإلحاد فى صفة الله ، عز وجل ، فلا يبعد الله الا من ظلم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [٣] .

* * *

(١) سورة القصص آية ٤٩ .

(٢) الوسوسة في حق آدم وحواء حقيقة ، وفى حق ابنائه وذريته مجاز قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا ﴾ سورة الاعراف ٢٠ ، وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ سورة طه ١٢٠ .. ويلاحظ انه ، تعالى ، ذكر وسوسته للزوجين فى الآية الاولى ، ولآدم منفرداً فى الثانية ؛ وذلك لان إغراءات الغريزة تجمعهما فى الاولى ، وفى الثانى لا يطمح إلى إغراءات الخلود سوى الرجل، فذكره ، تعالى ، منفرداً ؛ لانه لم يحدث إلا له وحده ، والله اعلم .

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧ . .

الحجة العاشرة

هل قدرة إبليس أكثر من قدرة الملكين الموكلين؟

ومن الحجة عليه أن نقول لهم : أخبرونا أيهما أولى فى حكمة الله ، عز وجل ، وحسن فعله ورحمته لعباده وبفضله عليهم ، وقوله ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ [1] حيث أقدر إبليس - زعمتم - بإقدار الله ، عز وجل ، له ، ثم وكل على كل عبد ملكين [2] يكتبان الحسنات والسيئات ، وليس لهما من القدرة على القلوب، فلا على إجراء الخواطر فى النفوس ، مثل ما أقدر عليه إبليس العاصى اللعين المعاند ؟!..

أفليس كان أولى به [3] ، عز وجل ، أن يجعل لهذين الملكين المؤمنين الطاهرين من القدرة ما يلقيان فى قلوب بنى آدم . من الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ما يردعهم عن الخطأ ، ويكون لهم فيه موعظة تكسر عنهم وسوسة إبليس ، فيكون ذلك أثبت للعدل ، وأدنى إلى الرأفة والرحمة ، ولا يفضل إبليس عليهما بهذه المنزلة التى هى أرفع من منزلتهما ؛ لأنهما لا يقدران على الخواطر فى النفوس ، وإنما يكتبان ما ظهر لهما ، وأقدر إبليس على ما لم يقدرا عليه ، وهما ملكان وليان لله ، عز وجل، وإبليس عدوُّه ؟!!..

* * *

لازم مذهب المجبرة :

وهذا يوجب عليكم أنا لم نؤت ذنوبنا إلامن قبل من أقدره (الله) [4] على الشر

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ ، وقد جاءت فى الأصل﴿ يريد بكم .. ﴾ وهو خطأ .

(٢) روى الإمام أحمد بسنده عن بلال بن الحارث المزنى ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ، عز وجل ، له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ، تعالى عليها بها سخطه إلى يوم يلقاه » قال الترمذى حسن صحيح وله شاهد فى الصحيح . فقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال ، فإن أصاب العبد خطيئة . قال له : أمسك ، فإن استغفر الله ، تعالى ، نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها . رواه ابن أبى حاتم . انظر ابن كثير فى تفسيره ٤ / ٢٣٦ .

(٣) فى الأصل : أولا

(٤) زيادة ليست في الأصل .

والضر ، ولم يقدر الملكين على الخيروالنفع !.. سبحان الله العظيم ، ماأعظم ما جئتم به، فنعوذ بالله من الجهل بتوحيده وعدله ، واتباع الهوى فيما خالف كتابه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

الجن خلقوا مرة واحدة ويموتون مرة واحدة :

وأما قوله ، عز وجل ، : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي ﴾ [١] ، فالذرية إنما هم الأولياء فى هذا الموضع ؛ لأنه لا نسل له ، وقد قال ، عز وجل ، لجميع المسلمين ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [٢] يجمع بينهم الناس كلهم ، وسماه أباً لهم ، وليس هو أباهم على الولادة ؛ لأن ولد إبراهيم ، ﷺ ، خاصة يعرفون بولادته، وإنما هو أب المسلمين فى الدين لا فى الولادة .

١٥١ط/ وكذلك قال فى قول لوط ، ﷺ : ﴿ هَؤُلاءِ بَنَاتِي ﴾ [٣] يعنى بناته فى الدين / لا فى الولادة ، ورووا أنه لم يكن له بنت [٤] .

* * *

كان العرب يعرفون معانى القرآن وتأويله :

وللقرآن معانى تحتاج إلى التأويل والمعرفة باللغة التى خاطب الله ، عز وجل ، بها رسوله ، صلوات الله عليه ، وخاطب بها رسول الله ، ﷺ ، العرب الذين عرفوا عنه ما تلا عليهم ، ولم يخف عليهم من ذلك حرف واحد فى التلاوة ولا فى التأويل ؛ لأنه لوعى عليهم حرف واحد ؛ لقالوا : هذا حرف لا نعرفه فى اللغة العربية ، ولو جهلوا

---

(١) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) سورة هود آية ٧٨ – سورة الحجر آية ٧١ .

(٤) قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) ﴾ سورة هود / ٧٨ .. ارشدهم ، عليه السلام ، إلى نكاح نسائهم فالنبى لأمته بمنزلة الوالدلهم جميعاً ؛ فارشدهم إلى ما هو انفع لهم فى الدنيا والآخرة .. ﴿ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) ﴾ سورةالحجر / ٧١ . قال مجاهد : لم يكنْ بناته ، ولكن كن من امته ، وكل نبى ابو امته ، وكذا روى عن قتادة وغير واحد ابن كثير ، ٢/٤٩٦ .

شيئاً من القرآن لم تلزمهم به حجة . وقد قال الله ، سبحانه : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ [1] .

والجن لا يناكحون ولا يتناسلون ، وإنما خلقوا ضربةً ويموتون ضربةً ؛ والدليل على ذلك ما احتججنا به ، على من زعَم أن الجن يحتاجون فى كل عصر وزمان إلى إمام هدىً ، وأنه يُلزمنا أن نقول : لابد لهم فى كل عصر من إمام يقيم لهم الدين ، ويفزعون إليه ، كما يفزع الناسُ إلى الإمام فى كل عصر وزمانٍ .

فكان الردُّ ، على من ادعى هذا ، **أن قلنا** : إنما خلقوا ضربةً ، وليس فيهم تناسل ، والدين ، الذى أخذوا عن محمد ، صلوات الله عليه ، هو الدين المفروض عليهم لا يحتاجون بعد محمد ﷺ [2] إلى أحد بعده ؛ لأنهم أخذوه جملة وهم أحياء لا اختلافَ بينهم ولا فُرقة ، وهم على ما تركهم عليه ، صلوات الله عليه ، فمن أراد أن يبدل أو يغير فذلك إليه ، لأنهم مخيرون مجبورين ، والسلام .

واعلم – أكرمك الله – أن جوابنا هذا فيه الرد على فرق شتّى ؛ لأن فيه الرد على المجبرة ، وعلى من قال بوسواس إبليس ، ممن يدعى القول بالعدل ؛ والرد – أيضا – على من يدعى القول بالتوحيد ثم أوجب لإبليس كقدرة الله ، عز وجل ؛ **والرد على من قال بالاستطاعة مع الفعل** ، فهو على ضروب شتى .

فافهم ما فى كل ذلك بعينه ولاتدخل شيئا منه فى شئ ، فإنك تفهم ذلك كله عند تدبره وقراءته ، إن شاء الله .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ،
وصلى الله على رسوله محمد بن عبد المطلب ، نبى الرحمة ،
وسراج الأمة ، وعلى آله [3] وسلم تسليماً

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) فى الأصل : وعلى آله وأهله ..

٨ - فهـرس المراجع والمصادر

مسلسل **المراجـع والمصـادر**

١- الإبانة عن أصول الديانة ، لأبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ؛ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط مكتبة دار البيان ١٩٨١م.

٢- إحياء علوم الدين ، لمحمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ؛ أبو حامد ، طبع دار البيان العربى ، د . ت .

٣- الآراء الكلامية والصوفية للقشيرى ؛ لإمام حنفى سيد عبد الله رسالة ماجستير ، ٢ ج ، بدار العلوم جامعة القاهرة .

٤- الإرشاد إلى قواعد الأدلة فى أصول الاعتقاد ؛ الإمام الحرمين عبد الملك بن عبدالله الجوينى ، تحقيق أسعد تميم ؛ طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ط . أولى ١٩٨٥ م .

٥- الأصمعيات ؛ اختيار الأصمعى ؛ طبع فى مصر ١٩٥٥م.

٦- أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، استانبول ، ١٣٤٦هـ.

٧- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، نشر دار الآفاق الجديدة ، ط . أولى ١٩٨١م .

٨- الأعلام ، لخير الدين الزكلى ؛ ط . ثامنة دار العلم للملايين ؛ ١٩٩٢م.

٩- أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة ، طبع فى دمشق ١٣٥٩هـ .

١٠- الأغانى ؛ لأبى الفرج الأصفهانى ، ط . دار الكتب المصرية .

١١- الأمالى ؛ لأبى على القالى ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢- الإمامة والسياسة ، لابن قتيبة ، ط . مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨١م .

١٣- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل ، لأبى بكر الباقلانى .

١٤- تأويل مشكل القرآن ؛ لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرح ونشر السيد أحمد صقر ، دار التراث القاهرة ١٩٧٣م.

١٥- التعريفات ؛ لعى بن محمد السيدالشريف الجرجانى ؛ وتحقيق د/ عبد المنعم حفنى ، دار الرشاد القاهرة .

١٦- تفسير ابن كثير ، لعماد الدين أو الفداء إسماعيل ابن كثير ، طبعة دار الخير ، بيروت ١٩٩٠م.

١٧- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، تحقيق عماد الدين حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ط أولى ١٩٨٧م .

مسلسل	المراجع والمصادر

١٨- التمهيد لقواعد التوحيد ، لأبى المعين النسفى ، تحقيق حبيب ، الله حسن أحمد ، دار الطباعة المحمدية ، بالأزهر ، د. ت .

١٩- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، جمع أبى طاهر بن يعقوب الفيروز ابادى ، طبع الأنوار المحمدية القاهرة ، د . ت .

٢٠- التوحيد ، لأبى منصور الماتريدى ، تحقيق فتح الله خليف ، دار المشرق ، بيروت ١٩٧٠م.

٢١- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، طبعة بولاق ١٣٢٩هـ .

٢٢- الجامع الصغير ، لجلال الدين السيوطى ، طبع مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٢٣- جمهرة أشعار العرب ، لابن ابى الخطاب القرشى ، طبع دار بيروت .

٢٤- جمهرة الأنساب ، لأبى محمد ابن حزم الأندلسى ، طبع بمصر ١٩٤٨م.

٢٥- حسن المحاضرة ، جلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . أولى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ؛ لأبى نعيم الأصبهانى ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت د . ت .

٢٧- حى بن يقظان ، للدكتور يوسف زيدان ، هيئة قصور الثقافة .

٢٨- خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادى ، طبع بولاق ١٢٩٩ .

٢٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطى ، نشرة محمد أمين دمج ، دار العلمى العربى ، دمشق ١٩٤٨م .

٣٠- دلائل النبوة ، لأبى نعيم الأصبهانى ، مكتبة المتنبى د . ت .

٣١- ديوان أبى ذؤيب الذلى ، دار الكتب العلمية ، د . ت .

٣٢- ديوان الخنساء ، دار بيروت ، د. ت .

٣٣- ديوان لبيد ، دار بيروت ، د . ت .

٣٤- ديوان المتنبى ، المكتبة الثقافية بيروت ، د . ت .

٣٥- الرائق فى تنزيه الخالق، ليحيى بن حمزة العلوى ، تحقيق إمام حنفى عبد الله ، طبع دار الآفاق العربية ٢٠٠٠م.

مسلسل	المراجع والمصادر

٣٦- الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية ، للهادى يحيى بن الحسين ، تحقيق د/ محمد عمار ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد جزءان فى مجلد واحد ، وطبع دار الشروق، ١٩٨٣م .

٣٧- الرد على الروافض ، للقاسم إسماعيل بن إبراهيم الرسى ، تحقيق إمام حنفى عبد الله ، طبع دار الآفاق العربية القاهرة ٢٠٠٠م .

٣٨- الرد على النصارى ، للقاسم الرسى ، تحقيق إمام حنفى عبد الله ، طبع دار الآفاق العربية ٢٠٠٠ م .

٣٩- سنن ابن ماجة ، لأبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط . عيسى الحلبى ١٩٥٢م .

٤٠- سنن أبو داود ، لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، دار الريان للتراث .

٤١- سُنن الترمذى ، لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، نشر دار الكتب العلمية .

٤٢- سنن الدارمى ، لأى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى ، طبع دار الريان للتراث .

٤٣- السنن الكبرى ، لأبى بكر البيهقى ، حيدر آباد ١٣٤٤هـ .

٤٤- سنن النسائى « المجتبى » ؛ لأبى عبد الرحمن بن شعيب بن على النسائى ، ومعه شرح

٤٥- الربى على المجتبى للسيوطى ، ط . الحلبى ١٩٦٤م.

٤٦- شرح الأصول الخمسة ، للقاضى عبد الجبار الهمذانى ، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ط . ثانية ١٩٨٨م .

٤٧- شرح النووى على صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووى ، طبع دار الريان للتراث .

٤٨- شعب الإيمان ، لأبى بكر البيهقى ، دار الكتب العلمية د . ت .

٤٩- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ط . الحلبى ١٣٥٠هـ .

٥٠- الصاحبى . لابن فارس ، ط . المؤيد ١٣٢٨هـ .

٥١- صحيح ابن جبان ، لأبى حاتم محمد بن حبان التميمى ، تحقيق أحمد شاكر ، ط. المعارف القاهرة ١٩٥٢م .

٥٢- صحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، ط. عيسى الحلبى ١٩٥٥م .

مسلسل	المراجع والمصادر
٥٣-	صحيح البخارى ، لمحمد بن إسماعيل البخارى ، ط . الأميرية ١٤١٣هـ .
٥٤-	صراع بين النفس والعقل ، د/ عبد الكريم دهينة ، المكتب الثقافى القاهرة .
٥٥-	صفوة البيان لمعانى القرآن ، لحسين محمد مخلوف ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، ط . ثالثة ١٩٨٧م .
٥٦-	الصناعتين ، لأبى هلال العسكرى ، الآستانة ١٣٢٠هـ .
٥٧-	الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة ، لاحمد بن حجر الهيثمى ، دار الكتب العلمية ط . أولى .
٥٨-	الأضداد ، لابن السكيت ، الكاثوليكية بيروت ١٩١٣م .
٥٩-	الطبقات الكبرى ، لابن سعد بن منيع البصرى ، ط . بيروت ١٩٥٧م .
٦٠-	طبقات المعتزلة ، لاحمد بن يحيى المرتضى ، تحقيق سوسنه ديفلد - فلزر ، ونشر مكتبة دار الحياة بيروت ، د . ت .
٦١-	عقيدة التنزيه عند المسلمين ، إمام حنفى عبد الله ، دار الآفاق العربية القاهرة ، ط . أولى ٢٠٠٠م .
٦٢-	العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية ، لأبى الفرج بن الجوزى تحقيق خليل الميس ، ط . أولي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م .
٦٣-	فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، ط. السلفية القاهرة ١٣٨٠هـ .
٦٤-	فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب ، للحافظ شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمى ، قدم له وحققه ، فواز أحمد الزمرلى ، محمد المعتصم بالله البغدادى ، ط . دار الريان للتراث القاهرة .
٦٥-	الفصل فى الملل والأهواء والنحل و لأبى محمد بن حزم ، تحقيق د/ محمد نصر ، وعبد الرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت .
٦٦-	الفهرست ، لابن النديم ، ط . التجارية القاهرة ١٣٤٨هـ .
٦٧-	فيض القدير ، وهو شرح على كتاب الجامع الصغير للسيوطى ، لمحمد عبد الرؤوف المناوى ، مصر ١٩٣٨م.
٦٨-	الكامل ، للمبرد ، ط . مصطفى محمد ١٣٥٥هـ .
٦٩-	كشاف اصطلاحات الفنون ، لمحمد على الفاروقى التهاونى ، ط . بيروت .

مسلسل	المراجع والمصادر

٧٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لمحمود بن عمر الزمخشرى د. دار الريان ، ثالثة ١٩٨٧م .

٧١- كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الحديث على السنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلونى ، ط . دار التراث القاهرة ، د . ت .

٧٢- كيف نصنع المستقبل ، لروجيه جارودى ، دار الشروق ط . أولى ١٩٩٩م .

٧٣- كيمياء السعادة ، للغزالى ، تحقيق محمد عبد العليم ، مكتبة القرآن ١٩٨٧م .

٧٤- كنز العمال فى سنن الاقوال والأعال ، لعلاء الدين على الهندى ، حيد آباد ١٣١٣هـ .

٧٥- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الافريقى ، ط . بيروت .

٧٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلى بن ابى بكر الهيثمى ، مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٥٣هـ .

٧٧- المحيط بالتكليف ، للقاضى عبد الجبار الهمدانى . . وجمع تلميذه ابن مثوية ، تحقيق عمر السيد عزمى ، الدار المصرية للتأليف والنسر ، ١٩٧٤م .

٧٨- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابورى ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨م .

٧٩- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، ط . الحلبى القاهرة ١٣١٣هـ .

٨٠- المعجم الفلسفى ، د/ عبد المنعم حفنى ، دار ابن زيدون ، بيروت د. ت .

٨١- المعجم الكبير ، لسليمان بن احمد الطبرانى ، تحقيق حمدى السلفى بغداد ١٩٧٩م .

٨٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ١٣٧٨هـ .

٨٣- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط. أولى ١٩٩٣م .

٨٤- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مطبعة مصر ١٩٦٠م .

٨٥- المغازى ، لمحمد بن عمر الواقدى ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت د. ت .

٨٦- المغنى فى أبواب العدل والتوحيد ، للقاضى عبد الجبار الهمدانى ، الدار المصرية للتاليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٢م .

٨٧- مفتاح كنوز السنة ، وضع فنسنله ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى ، طبع دار الحديث القاهرة .

٨٨- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الألسنة ، لشمس الدين السخاوى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٩م .

٨٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبى الحسن الأشعرى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٠م .

٩٠- الملل والنحل ، لأبى الفتح محمد بن عبدالكريم ، الشهرستانى . تحقيق أمير مهنا ، وعلى فاعور ، دار المعرفة بيروت ط. ثانية ١٩٩٢م .

٩١- المواقف ، لعضد الدين عبد الرحمن الإيجى ، ط . عالم الكتب بيروت د . ت .

٩٢- الموضوعات ، لابن الجوزى ، تحقيق عبد الرحمن عثمان دار الفكر ١٩٨٣م .

٩٣- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط . دار الشعب .

٩٤- نصرة مذاهب الزيدية ، للصاحب بن عباد ، تحقيق ناجى حسن ، ط . أولى الدار المتحدة للنشر بيروت ١٩٨١م.

٩٥- نهاية الاقدام فى علم الكلام ، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق الفرد جيوم ، لندن ١٩٣٤ - ومصورة عنها بمكتبة المتنبى .

٩٦- وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان ، لابن خلكان حققه د/ إحسان عباس بيروت ١٩٦٨م.

***

٩ - الفهـــــرس

الموضوعـــــات	صفحة

الموضوعات	صفحة
الفصل الرابع : ليس لإبليس سلطان على الحياة	١١٥ – ١٤٤
١– الشياطين فى رمضان	١١٧
٢– صدقك وهو كذوب	١١٩
٣– وصاح إبليس فى أحد	١٢٢
٤– إبليس والليل	١٢٤
٥– إبليس والنسيان	١٢٩
٦– إبليس والفتنة	١٣٢
٧– إبليس والوسوسة	١٣٥
٨– معرفة أسرار النفس عند الغزالى	١٣٧
٩– كيف تحدث الخواطر المختلفة	١٤١
الفصل الخامس : الشيطان يجرى مجرى الدم !	١٤٧ – ١٦٤
١– الشيطان والغضب	١٥١
٢– الشيطان يجرى مجرى الدم	١٥٤
٣– بات على خيشومه الشيطان !	١٥٦
٤– الشيطان والتثاؤب	١٥٩
٥– الذى أجاره الله من الشيطان	١٦٣
الفصل السادس : دولة إبليس !	١٦٧ – ١٩٧
١– إبليس على عرش العالم !	١٧١
٢– قرنا الشيطان والشمس	١٧٣
٣– الشيطان وساعة الميلاد	١٧٩
٤– القرين !!	١٨٢
٥– الشيطان والكهان	١٨٩
٦– الشيطان والرؤى	١٩١
٧– عمر والشيطان	١٩٦
المبحث الثالث : منهج الإمام أحمد بن يحيى فى نقد فكر المجبرة حول إبليس :	٢٠١ – ٢٧٠
الفصل الأول : أصل قصة « حى بن يقظان »	٢٠٣

الموضوعــــات	صفحة

***

ثانياً : النص :

الموضوعـــات	صفحة

***

التعريف بالمؤلف

الاســـم: إمام حنفى سيد عبد الله

مواليـد : القاهرة ٢ / ٩ / ١٩٦٢

خريـج : – كليـة دار العلـوم جامعـة القاهـرة ١٩٨٤ .

– حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية ١٩٩٧ .

– كما حصل على دبلوم الخطوط العربية ١٩٩٠ .

– بالإضافة إلى دبلوم عام فى التربية ١٩٩٦ .

– وكذلك دبلوم خاص فى التربية ١٩٩٧ .

– هذا بالإضافة إلى دورات عديدة فى تحقيق التراث ، والقراءات ، وتعليم وتوجيه اللغة العربية والتربية الإسلامية .

العـــمل : – عمل المؤلف فى حقل التربية والتعليم مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية منذ وقت مبكر وحصل على العديد من شهادات التفوق والتقدير فى هذا المجال من مصر والكويت والسعودية .

– كما عمل المؤلف فى حقل تحقيق التراث والمراجعة العلمية ، وشارك فى إصدار العديد من الموسوعات الفقهية واللغوية ، من ذلك على سبيل المثال المغنى لابن قدامة طبعة «هجر» والطبقات الكبرى فى رجال الشافعية للسبكى .

– للمؤلف إنتاج علمى وادبى يعتز به ، حاز به إعجاب وتقدير العديد من الأساتذة المتخصصين

***

المؤلفـــات

أولاً الدراســـات :

١ - الآراء الكلامية والصوفية للقشيرى « رسالة ماجستير غير منشورة » . .

٢ - عقيدة التنزيه عند المسلمين .

٣ - نقد المسلمين للثنوية والمجوس .

٤ - الإمامة عندا لمسلمين .

٥ - دراسة فى التحسين والتقبيح .

٦ - دراسة فى موقف الزيدية من الصحابة .

٧ - مقدمة فى الجهاد .

٨ - الخوارج طليعه التكفير فى الإسلام .

٩ - إبليس فى التصور الإسلامى بين الحقيقة والوهم .

ثانيــا الأعمال المحققة :

* أعمال يحيى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩

١٠ - الرائق فى تنزيه الخالق .

١١- الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشك والارتياب .

١٢- الجواب القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه .

١٣- الدعوة العامة .

١٤- عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى .

١٥- الكوكب الوقاد فى أحكام الاجتهاد .

١٦- الوصايا .

١٧- خواتم الحكم « لعلى دده » .

***

* أعمال القاسم بن إبراهيم الرسى ت ٢٤٦ هـ

١٨- الدليل الكبير فى الرد على الزنادقة والملحدين .

١٩- الرد على الملحد ومناظرته .

٢٠- الرد على النصارى .

٢١- الرد على الرد على الرافضة .

٢٢- المسترشد .

٢٣- الرد على ابن المقفع .

***

*** أعمال أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ**

٢٤- النجـاة .

٢٥- مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين .

٢٦- الرد على الإباضية .

***

٢٧- الخلاصة النافعة . **لأحمد بن الحسن الرصاص ت ٦٥٦ هـ**

*** أعمال غير مطبوعة وتصدر قريباً :**

٢٨- مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم " " " "

***

٢٩- الشمس الكاشفة لشبهة الفلاسفة الكاسفة

لعبد الله بن على الهادى إلى الحق

٣٠- التعليـم عـن بعـد - مفهومـه وآثـاره فـى التربـية الرسـمية

بحث حصل على امتياز فى مناهج التربية - غير منشور

بمعهـد الدراسـات التربيـة ١٩٩٧

٣١- المعجز **"للقاسم العيانى ت ٤٠٤ هـ"** .

* دواوين شعرية .

٣٢- أحلم بالقدس .

٣٣- بغداد صبراً .

٣٤- الأميرة التى سكنت بقلبى .

٣٥- ووقعت ببئر الأحزان .

